الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان-

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

تخصص: تفسير وعلوم القرآن

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية

موسومة :

مقاصد القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره -دراسة نظرية مع نماذج تطبيقية-

إعداد الطالب:

سفيسيفي عبد الرحيم

إشراف الدكتورة:

بولخراص كريمة

السنة الجامعية:

1436هـ-1437هـ / 2015م-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء:9

إهـداء

إلى من ربياني صغيرا وتعاهداني بالنصح والدعاء

كبيرا... والدي الكريمين حفظهما الله...

إلى العائلة المباركة صغيرها وكبيرها.

إلى الإمام الهمام الطاهر ابن عاشور رحمه الله

إلى السادة حملة القرآن والمشايخ والأساتذة وكل الأصحاب

والأحباب.

إلى كل من سلك طريقا يلتمس فيه علما.

إلى كل من أعانني من قريب أو بعيد ودعا لي بظهر الغيب

إليكم جميعا... أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع...

شكر وتقدير

أحمد الله تعالى حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه على ما من به علي من توفيق وفتح في إنجاز هذه المذكرة. ثم إذا كان لا بد من الاعتراف بالفضل لأهله. فإنني أتوجه بداية بالشكر الجزيل لشيخي الفاضل الذي حفظني القرآن الكريم: **أحمد بن حمو**. ثم أثني بالشكر والثناء الجميل الذي لايسع اللسانَ وصفُه لمن سبق إلي معروفها أدبا وعلما وخلقا، مشرفتي وأستاذتي الفاضلة الدكتورة: **كريمة بولخراص** والتي تكرمت بالإشراف على هذه الرسالة وتعاهدتها بالتوجيه والتصويب والتنقيح منذ أن كان البحث فكرة إلى أن استوى قائما على سوقه. فجزاها الله عني خير الجزاء.

كما أشكر السادة الأساتذة. أعضاء لجنة المناقشة. الأستاذ الشيخ: **طمراوي عبد القادر**. والأستاذ الشيخ: **أجدير نصر الدين** على تكرمهما بقبول مناقشة هذه الرسالة. وكلي شرف في الاستفادة من توجيهاتهم وتصويباتهم حتى يرتقي البحث إلى الأحسن والأكمل.

ولا يفوتني أيضا أن أشكر أساتذة قسم العلوم الإسلامية بتلمسان على ما قدموه لنا. وأخص بالذكر منهم: الأستاذ: **باي بن زيد** . والأستاذ: **مراد بلخير**. والأستاذ: **بوصافي خالد**.

ولا أنسى أن أشكر كل من مد لي يد العون من قريب. وأخص منهم ولي نعمتي شيخي الحبيب: **بوتمرة جيلالي** ومن بعيد. وأخص منهم الفاضلتين: الدكتورة: **العيدية حمزة** والدكتورة: **حفيظة طالب عبد الرحمن**.

جزى الله الجميع خير الجزاء.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب، وأودعه من الأسرار والحكم العجب العجاب، والصلاة والسلام على خير الأحباب سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد شرف الله عزوجل أمته بوراثة كتابه، واصطفى لحمله الأخيار والعلماء من عباده، فانبروا له منذ القديم تلاوة وتدبرا وفهما وتفسيرا، واشتغلوا به اشتغالا يسبر أغواره ليفصح عن حكمه وأسراره، فألفوا في ذلك التفاسير الكبيرة –ولازالوا– بغية الكشف عن المقاصد والغايات التي قصدها الشارع الحكيم من كلامه. وإن من أبرز التفاسير التي اهتمت بالكشف عن مقاصد القرآن الكريم في العصر الحديث، تفسير التحرير والتنوير للإمام الطاهر ابن عاشور رحمه الله، والذي كان بحق للمعنى محررا وللمقصد من الوحي مبينا ومظهرا. فاستعنت الله تعالى أن يكون هذا البحث في مقاصد القرآن الكريم وعنونته ب: **مقاصد القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره –دراسة نظرية مع نماذج تطبيقية–** والذي يعد من أهم ما اعتنى به ابن عاشور كونه قد أصل للموضوع من خلال تخصيصه لمقدمة منهجية عنه.

أولا: الإشكـاليـة:

من الإشكالات الكبرى التي تطرح في هذا البحث: ما مدى توظيف ابن عاشور لمقاصد القرآن الكريم في تفسيره؟ ويضاف إلى ذلك بعض التساؤلات منها:

– ما مقاصد القرآن الكريم؟ وفيم تتجلى أهميتها؟

– ما منهج بيانها عند الطاهر ابن عاشور؟ وكيف أعملها في تفسيره؟

ثـانيـا: أسباب اختيار الموضوع:

دعاني إلى اختيار هذا الموضوع والبحث فيه أسباب ودواع منها:

1/ تعلق الموضوع بأشرف كتاب هو القرآن الكريم.

2/ اهتمامي بالقراءة في الدراسات المقاصدية عامة ومقاصد القرآن خاصة.

3/شغفي بتفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور رحمه الله.

4/ كون الطاهر ابن عاشور من المهتمين بالمقاصد في تفسيره خاصة.

ثـالثـا: أهمية البحث:

تتجلى أهمية الموضوع المراد دراسته في النقاط التالية:

1/ الحديث عن مقاصد القرآن وتأصيلها عند العلماء وعند ابن عاشور خصوصا يعطيها وزنا في حقل الدراسات القرآنية، كون الموضوع من المواضيع الأولى في اهتمامات العلماء قديما وحديثا.

2/ ارتباط مقاصد القرآن الكريم بتفسير كلام الله تعالى، حيث تبين المحاور والغايات التي يسترشد بها المفسر.

3/كون الطاهر ابن عاشور جمع إلى جانب التأصيل لها، التنزيل على النصوص القرآنية وإعمالها في فهمها.

رابعا: أهداف البحث:

تبرز الأهداف المرجوة من هذا البحث في النقاط التالية:

1/ لفت الانتباه إلى دور مقاصد القرآن الكريم في التفسير.

2/ بيان منهج الطاهر ابن عاشور في عرض المقاصد. وشرحُها وتحليلُها.

3/ إيراد النماذج التطبيقية المناسبة لما أصّله ابن عاشور من مقاصد قرآنية.

4/ إبراز إسهام مقاصد القرآن عند ابن عاشور في إثراء العمل التفسيري من حيث بيان المعاني والترجيح بينها.

خامسا: الدراسات السابقة:

حظي تفسير التحرير والتنوير باهتمام كبير من قبل الباحثين؛ فقد درسوه من حيث منهجه في التفسير ومن حيث القراءات وتوجيهها وغير ذلك... أما عن مقاصد القرآن الكريم في تفسيره فوقفت على بعض البحوث التي أفدت منها في بعض المسائل.

أذكر من ذلك :

-مقاصد السور القرآنية- دراسة نظرية تطبيقية- رسالة دكتوراه للدكتورة أمينة رابح بجامعة وهران.

وهذا البحث كان منصبا أصالة على أغراض السور ومقاصدها. واكتفت بذكر مقاصد القرآن عند ابن عاشور دون تحليل لها.

- مقاصد القرآن عند الشيخ ابن عاشور. للدكتورة هيا ثامر مفتاح، بحث في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر- العدد: 29 حيث تناولت فيها الباحثة المقاصد الأصلية التي ذكرها ابن عاشور وحاولت إيراد نماذج لكل مقصد، غير أنها لم تكن دقيقة بالقدر الذي يتلاءم مع ما أصله ابن عاشور من مقاصد. كما ذكرت في بحثها أدوات تجلية المقاصد عند ابن عاشور لكنها أغفلت بعض الأدوات المهمة كالاستقراء وظواهر القرآن.
- دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند ابن عاشور، لنشوان عبده خالد قائد- طالب دكتوراه بقسم دراسات القرآن والسنة- كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية- جامعة ماليزيا. وهذا البحث ركز فيه صاحبه على الاستقراء كأداة وظفها ابن عاشور لاستخراج المقاصد.
- التميز المنهجي في عرض المقاصد القرآنية عند الطاهر ابن عاشور في تفسيره- لنشوان عبده خالد قائد. حيث بين في هذا البحث تميز ابن عاشور في عرض المباحث ذات الصلة بالمقاصد كأغراض السور، وبيان إعجاز القرآن وغير ذلك... ثم تناول المقاصد القرآنية عند ابن عاشور تنظيرا وتطبيقا. أما تنظيرا فاكتفى بسردها دون شرح لها. وأما تطبيقا فأورد نماذج للمقاصد الأصلية التي استقرأها ابن عاشور. ولم يلتفت إلى المقصد الأعلى.
- مقاصد القرآن في فكر النورسي- دراسة تحليلية- د.زياد خليل محمد الدغامين- عميد كلية الدراسات الفقهية والقانونية-جامعة آل البيت. وهذه الدراسة أفدت منها في تقسيمات العلماء لمقاصد القرآن الكريم. وذكر تقسيم ابن عاشور للمقاصد فقط دون شرح وتمثيل.

وعليه فإن هذا البحث يحاول بيان مقاصد القرآن والتعريف بابن عاشور وتفسيره. ثم شرح مقاصد القرآن عند ابن عاشور من حيث الجانب التنظيري، وصولا إلى إبراز كيفية إعماله لها في تفسيره وتأثيرها فيه من خلال إيراد نماذج تطبيقية. وهو ما لم أجد فيه دراسات- في حدود ما بحثت-.

سادسا: منهج البحث والطريقة المتبعة فيه:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون المنهج المتبع فيه هو الوصفي التحليلي؛ حيث عرضت مقاصد القرآن عند العلماء ثم عند ابن عاشور وقمت بتحليلها وشرحها في الجانب التأصيلي ثم التمثيل لها والتعليق على ذلك في الجانب التطبيقي.

أما الطريقة التي اتبعتها في كتابة بحثي فتتلخص في النقاط التالية:

- كتابة الآيات بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم.
- لم أترجم لأي علم من الأعلام الذين ذكرت في بحثي. لشهرة أغلبهم. والمعاصرون منهم لا توجد لهم ترجمة في كتب الأعلام.
- إذا ذكرت المرجع لأول مرة أذكر كل بيانات النشر .
- حاولت التزام الاختصار في الشرح والتحليل بحسب ما يبين المسألة ويوضحها.

سابعا: خطة البحث:

اقتضت طبيعة المادة العلمية أن تتوزع على فصلين دراسيين مع فصل تمهيدي ومقدمة وخاتمة.

أما الفصل التمهيدي: عرفت فيه بمصطلحات البحث وقسمته إلى ثلاثة مباحث.

فجاء المبحث الأول عن تعريف مقاصد القرآن. والمبحث الثاني عن ترجمة ابن عاشور.والمبحث الثالث عن تفسير التحرير والتنوير.

أما الفصل الأول: فخصصته للدراسة التأصيلية لمقاصد القرآن، وضمنته مبحثين: الأول: عن تقسيمات مقاصد القرآن عند العلماء وأهميتها. والثاني: عن منهج بيان مقاصد القرآن عند ابن عاشور.

و تطرقت في الفصل الثاني إلى: توظيف مقاصد القرآن في تفسير التحرير والتنوير. وقسمته إلى مبحثين أيضا. أما الأول: فعن مظاهر إعمال مقاصد القرآن عند ابن عاشور. والثاني عن: نماذج لتأثير مقاصد القرآن في تفسير"التحرير والتنوير".

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وآفاق.

ولا يسعني في الختام إلا أن أجدد شكري لأستاذتي ومشرفتي الفاضلة الدكتورة: كريمة بولخراص. على ما منحتني من نفيس وقتها وثمين جهدها ورفيع خلقها. اللهَ تعالى أسألُ أن يجزيها عني خير الجزاء. كما أشكر السادة الأساتذة، أعضاء لجنة المناقشة على تحشمهم عناء قراءة هذه الرسالة ومتابعتها.

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ–وهو وارد– فمن نفسي المقصرة. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد. والحمد لله رب العالمين.

تلمسان يوم: 18 شعبان 1437هـ

الموافق ل: 24 ماي 2016م

سفيسيفي عبد الرحيم

الفصل التمهيدي: التعريف بمصطلحات البحث

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف مقاصد القرآن

المبحث الثاني: ترجمة ابن عاشور

المبحث الثالث: التعريف بتفسير"التحرير والتنوير"

المبحث الأول: تعريف مقاصد القرآن:

مدار الحديث في هذا المبحث يكون عن مقاصد القرآن ببيان المقاصد لغة ثم مقاصد القرآن اصطلاحا. ثم ذكر العلاقة بينها وبين مقاصد الشريعة.

المطلب الأول: المقاصد لغة:

ترجع كلمة "المقاصد" في أصلها اللغوي إلى مادة "قصد" . ومعناها عند علماء اللغة، كالآتي:

قال ابن فارس:« القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان الشيء وأمه، والآخر على اكتناز في الشيء، فالأصل قصدته قصدا ومقصَدًا.»[1]

وجاء في لسان العرب نقلا عن ابن جني: « أصل "ق ص د" ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهود والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أو جور، هذا أصله في الحقيقة، وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل، ألا ترى أنك تقصد الجور تارة كما تقصد العدل أخرى ؟ فالاعتزام والتوجه شامل لهما جميعا.»[2]

وقال الرازي: « القصد: إتيان الشيء، تقول: قصده وقصد له، وقصد إليه، كله بمعنى واحد».[3]

ومن ثم، فمادة "قصد" يرجع معناها في اللغة إلى: إتيان الشيء وأَمّه والتوجه إليه ، والنهوض نحوه.

---

[1] ابن فارس أحمد بن زكريا- معجم مقاييس اللغة- ت: عبد السلام هارون- دار الفكر- (د.ط)- مادة (ق ص د)- ج 5 ص 95.

[2] ابن منظور محمد بن مكرم- لسان العرب- دار صادر- بيروت- لبنان- (د.ط / د.ت)- مادة (ق ص د) ج 3 ص 355.

[3] الرازي محمد بن أبي بكر- مختار الصحاح- اعتنى به وراجعه: أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، المنصورة- ط 1430/1هـ- 2009 م- مادة (ق ص د)- ص 279.

المطلب الثاني: مقاصد القرآن اصطلاحا:

مقاصد القرآن اصطلاحا يمكن بيان تعريفها على النحو التالي:

أ ـ عند المتقدمين : لم يذكروا تعريفا لها، غير أن المصطلح لم تخل كتبهم منه [1]. فمن ذلك قول أبي حامد الغزالي:« الفصل الثاني: في حصر مقاصد القرآن ونفائسه .»[2] . وقول العز بن عبد السلام: « ومعظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها»[3] .

« وقد استعمل بعضهم مصطلح مقاصد القرآن للدلالة على المحاور الكبرى والقضايا الأساسية التي دارت عليها سور القرآن وآياته .»[4] كقول الغزالي:« انحصرت مقاصد سور القرآن وآياته في ستة أنواع... »[5] .

وقوْلِ الرازي: « والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى.»[6] .

وبالتالي، لم يحاول المتقدمون إعطاء تعريف لمقاصد القرآن وإن قصد به بعضهم معنى المحاور والقضايا التي نزل القرآن لأجلها.

---

[1] بودوخة مسعود- جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم- المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومهبفاس سنة 1432هـ/ 2011م في موضوع: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه.ص: 955. ينظر موقع: http://www.mobdii.com/ بتاريخ : 28/ 05/ 2016.

[2] الغزالي أبو حامد محمد بن محمد- جواهر القرآن- ت: محمد رشيد رضا القباني- دار إحياء العلوم-بيروت – ط2 / 1406-1986 ص 23.

[3] عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام- قواعد الأحكام في إصلاح الأنام- ت:د.نزيه كمال حماد و د.عثمان جمعة ضميرية- دار القلم- دمشق- د.ط ج1 ص 11- 12.

[4] بودوخة مسعود- جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم- ص 955.

[5] الغزالي – جواهر القرآن- ص 23.

[6] الرازي محمد فخر الدين – التفسير الكبير- دار الفكر- لبنان- بيروت- ط1 /1401- 1981 – ج1 ص 179.

ب ـ عند المتأخرين: اتجهوا اتجاه المتقدمين حيث ذكروا المصطلح ولم يحاولوا إعطاء تعريف له. ويظهر أنهم قصدوا به أيضا المحاور والقضايا التي تضمنها القرآن الكريم. فمنهم رشيد رضا في تفسيره. [1] ومنهم ابن عاشور حيث قال في تفسيره لسورة الفاتحة: « أنها تشتمل محتوياتها على أنواع مقاصد القرآن وهي ثلاثة أنواع: الثناء على الله ثناء جامعا لوصفه بجميع المحامد وتنزيهه عن جميع النقائص، ولإثبات تفرده بالإلهية وإثبات البعث والجزاء ...»[2] وتكرر ذكر مصطلح مقاصد القرآن عند ابن عاشور في تفسيره في مواضع عدة.[3] وقد تكلم عن مقاصد القرآن الكريم غير هذين الاثنين.[4]

وممن عرف مقاصد القرآن، عبد الكريم حامدي حيث قال: « مقاصد القرآن هي الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالح العباد. فالغايات المراد بها: المعاني والحكم المقصودة من إنزال القرآن... وهذه الغايات تهدف إلى تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل.»[5]

غير أن هذا التعريف يلاحظ عليه تأثره بمقاصد الشريعة بدليل أن الباحث بنى تعريفه لمقاصد القرآن على ما ذكره من تعريفات لمقاصد الشريعة، حيث قال: « ويمكن تعريف مقاصد القرآن بناء على ما ورد في التعريفات السابقة لمقاصد الشريعة».[6]

---

[1] رضا محمد رشيد بن علي- تفسير المنار- دار المنار- القاهرة- ط1366/2هـ- 1947 ج11 ص 206

[2] ابن عاشور محمد الطاهر- التحرير والتنوير- الدار التونسية للنشر تونس1984م- ج1 ص 133.

[3] ينظر: المصدر نفسه ج1 ص: 38- 39- 40- 41 وغيرها...

[4] ممن تكلم عن مقاصد القرآن: محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم- دار الشرق(د.ط و د.ت).ويوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم- دار الشروق- ط3/ 1421هـ- 2000م- ص 71- 123.وطه جابر العلواني في حصة الشريعة والحياة – بعنوان: مقاصد القرآن الكريم- وحاوره: عثمان عثمان- بثت على قناة الجزيرة بتاريخ: 28- 02- 2010م.

[5] عبد الكريم حامدي، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام- دار ابن حزم- بيروت- لبنان- ط1/ 1429هـ- 2008م- ص: 29.

[6] المرجع نفسه، ص: 29

وعرف مسعود بودوخة مقاصد القرآن بأنها: « القضايا الأساسية والمحاور الكبرى التي دارت عليها سور القرآن وآياته، تعريفا برسالة الإسلام وتحقيقا لمنهجه في هداية البشر. »[1] وهذا تعريف أجمع من الذي ذكره عبد الكريم حامدي.إذ يشمل مقاصد الأحكام وغيرها من المحاور .

وبناء على ماسبق، يمكن أن نعرف مقاصد القرآن بأنها: « الغايات والمحاور التي نزل القرآن من أجل تحقيقها، وهي مبثوثة فيه إما تنصيصا أو استنباطا» .

فالغايات: هي الأهداف الكبرى التي نزل القرآن من أجلها.

والمحاور: هي تفصيلات تلك الغايات.

وتم اعتماد هذا التعريف لسببين:

الأول: لأنه جامع مقارنة مع التعريفين السابقين، إذ أن تعريف عبد الكريم حامدي جعل هذه الغايات من أجل تحقيق مصالح العباد. وتعريف مسعود بودوخة جعل المحاور التي نزل بها القرآن من أجل التعريف بالإسلام وتحقيق الهداية للبشر.

الثاني: قولنا: تنصيصا أو استنباطا: هذا باعتبار طرق بيانها إذ أن كل مقاصد القرآن ترجع إما إلى النص عليها صراحة أو استنباط العلماء لها، كما نبه على ذلك الريسوني.[2]

وهذا التعريف هو الأقرب تناسبا مع ما أورده ابن عاشور من مقاصد كما سيأتي.

[1] بودوخة مسعود- جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم- ص: 956

[2] ينظر: الريسوني أحمد- مقاصد المقاصد: الغايات العلمية و العملية لمقاصد الشريعة- دار الكلمة-مصر- القاهرة-ط1/1435-2014م- ص: 21-22-23.

ومن الألفاظ المرادفة للمقاصد:« الأهداف، الغايات، الأغراض، الحكم، المعاني، الأسرار.» [1]

المطلب الثالث: العلاقة بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة:

يجدر هنا ذكر العلاقة بين هذين المصطلحين؛ إذ أن مقاصد الشريعة هو المصطلح الذي شاع واشتهر وكثر البحث فيه، بينما مقاصد القرآن تنوولِت على أنها نفسها مقاصد الشريعة في حين أنها أجمع وأوسع وأعم منها.[2] ومن ثم فإن: «مقاصد الشريعة تتعلق بمقصد التشريع-الأحكام-وهذا واحد من مقاصد القرآن الذي تضمن أمورا أخرى غير التشريع... إن مقاصد القرآن أعم، ومقاصد الشريعة أخص. »[3] ثم إن «الخطاب القرآني ليس كله أحكاما شرعية-بالمعنى الفقهي- ودليل ذلك أن آيات الأحكام معدودة ومحددة.»[4] كما ذكر العلماء.[5]

وبالتالي، فمقاصد القرآن أوسع مدلولا من حيث قضاياها ومحاورها مقارنة مع مقاصد الشريعة، فبينهما عموم وخصوص. ومما يدل على ذلك تنوع تقسيمات العلماء لمقاصد القرآن وعدم حصرها في الجانب التشريعي. كما سيأتي.

---

[1] عبد الكريم حامدي، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام- ص 20

[2] ينظر: بودوخة مسعود- جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم، ص 958

[3] زياد خليل محمد الدغامين، عميد كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت- مقاصد القرآن في فكر النورسي- دراسة تحليلية- ص 352-353.

[4] بودوخة مسعود- المرجع السابق- ص 960.

[5] قال الغزالي بأنها خمسمائة آية. ينظر: أبو حامد الغزالي- المستصفى-ت: محمد عبد السلام عبد الشافي- دار الكتب العلمية- ط1/ 1413هـ- 1993م- ص: 342. وتبعه كذلك الرازي .ينظر: الرازي - المحصول- ت: طه جابر فياض العلواني- مؤسسة الرسالة- ط3/ 1418هـ- 1997م-ج6 ص 23. وقال بعضهم: مائة وخمسون آية. ينظر: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن- الإتقان في علوم القرآن- خرج أحاديثه: أحمد بن شعبان بن أحمد-مكتبة الصفا- القاهرة- ط 1/ 1427هـ- 2006م- ج 4 ص:28.

المبحث الثاني: ترجمة محمد الطاهر ابن عاشور:

ما من عالم ذاع صيته وكثر عطاؤه العلمي في مختلف الفنون و المجالات، إلا وكان من وراء ذلك دواع وأسباب، من بيئة علمية نشأ فيها وشيوخ درس عليهم ووظائف تقلدها وغير ذلك مما يساهم في تكوين شخصيته العلمية. ومن بين هؤلاء الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله. وفي هذا المبحث ترجمة له.

المطلب الأول: عصره:

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور [1]، ولد بالمرسى، وهي ضاحية جميلة من الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية...سنة 1296هـ- 1879م بقصر جده للأم محمد العزيز بوعتور.[2]

– الحالة السياسية: ولد محمد الطاهر ابن عاشور بمدينة تونس في عهد الدولة الحسنية، في عهد الأمير المشير محمد الصادق باي، وكانت الدولة في ذلك الوقت تسير نحو الإفلاس وظهور أطماع الدول الاستعمارية، وخاصة إيطاليا وفرنسا بتدخلها وإبداء النصح المبطن بأغراض مبيتة، قصد إدخال الاضطراب في تصرفات الحكومة والتشويش عليها، وزادت الأزمات المالية، ما أدى إلى انتصاب الحماية الفرنسية على البلاد سنة 1881م.[3]

---

[1] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1/1404هـ- 1984م ج3 ص 304.

[2] بلقاسم الغالي، من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره- دار ابن حزم- بيروت- ط1/1417هـ- 1996م – ص 37.

[3] عثمان بطيخ، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية- أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثاني والعشرون- ص:1- من موقع: http://www.kantakji.com/makased/ بتاريخ: 2016/05/28.

– **الحالة الاجتماعية:** أما اجتماعيا، فقد تفشى الجهل في المجتمع التونسي وكثرت الفتن، وعم الاضطراب الاجتماعي، واختل الأمن، وتحركت العصبية القبلية من جديد، فبدأ الناس يتنادون بالعروشية ويقتتلون لأتفه الأسباب، فتسفك الدماء وتهتك الأعراض وتفتك الأرزاق.[1]

أدت هذه الأحداث التي مرت بها تونس إلى ظهور حركات إصلاحية، وكان من أبرز روادها "خير الدين باشا"، و"سالم بوحاجب"، وهذا إلى جانب ما كان يشهده المشرق العربي أيضا من تحرك فكري يتزعمه "جمال الدين الأفغاني" وتلميذه "محمد عبده" وتلميذه "محمد رشيد رضا".[2]

يقول ابنه الفاضل ابن عاشور متحدثا عن هذه الحركة الإصلاحية بالمشرق:« لقد قويت حركة الشبان الإصلاحية إذ أصبحت ولها الصحف الخادمة لمبادئها، ولها المجلة العلمية العالمية وهي "المنار" الموجهة لحركتها، ولها حماتها من أساطين العلم بجامع الزيتونة، ولها فوق ذلك كله إكليل من شخصية إمامها مفتي الديار المصرية وما أدراك ما هو.»[3]

من خلال هذه الإطلالة الوجيزة على عصر ابن عاشور يتبين تأثيره في شخصيته. إذ أنه عاش مرحلتين: مرحلة الاستعمار: وهي الأهم، والتي وافقت أيام الطلب وعز الشباب... ومرحلة الاستقلال:

[1] بلقاسم الغالي- شيخ الجامع الأعظم – ص 18.

[2] ينظر: المرجع نفسه- ص 18 و ص 22؛ و ابن الخوجة محمد الحبيب – شيخ الإسلام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر- 1425هـ- 2004م- ج1 ص 26.

[3] بلقاسم الغالي- شيخ الجامع الأعظم- ص 25- 26، نقلا عن: الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس ص 77.

وهي مرحلة النضج والعطاء واستخلاص الدروس... وكتبه شاهدة على تأثره بظروف عصره. ككتاب "أليس الصبح بقريب" و"أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"..[1]

في ظل هذه الظروف عاش ابن عاشور-رحمه الله- متأثرا بالمصلحين، ومقتفيا سبيلهم من أجل القيام بالدور المنوط به كعالم ومصلح للخروج من تونس بأزمتها التي تجاذبتها جواذب لم تكن لتنجو منها لولا تسخير الله لعلماء يحملون هم الإصلاح على عواتقهم.

المطلب الثاني: حياته العلمية:

نشأ ابن عاشور في حضن جده محمد العزيز بوعتور ورعاية والده الشيخ محمد ابن عاشور الذي كان يأمل أن يكون على مثال جده في العلم والنبوغ.[2] وقد اعترف لهما ابن عاشور بالفضل حيث قال:«...مع أني أشكر ما منحت به من إرشاد قيم من الوالد والجد ومن نصحاء الأساتذة ولا غنى عن الاستزادة من الخير.»[3]

تلقى مترجمنا معارفه الابتدائية بالمنزل بنهج الباشا من مدينة تونس، وبكتاب سيدي بوحديد الواقع بجوار منزله. وبه حفظ القرآن الكريم حفظا دقيقا، وأتقنه طوال عمره قراءة وتدبرا. وتعلم اللغة الفرنسية في بيته ووكل أمره في هذا إلى حاذق من حذاق اللسان الفرنسي من المواطنين.[4]

---

[1] ينظر: أبو فراس مراد بن أحمد عطاسي- آليات الاستنباط عند الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره "التحرير والتنوير"- رسالة ماجيستير.ص: 32.

[2] بلقاسم الغالي- شيخ الجامع الأعظم - ص 37.

[3] ابن عاشور، أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي: دراسة تاريخية وآراء إصلاحية- دار السلام- القاهرة، ودار سحنون- تونس (نشر مشترك)- ط1431/3هـ-2010م- ص 17.

[4] ابن الخوجة، شيخ الإسلام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور- ج1 ص 26-27.

ثم حفظ مجموعة من المتون العلمية التي تهيئ الطالب إلى التعليم بجامع الزيتونة، كمتن ابن عاشر والآجرومية وغيرهما... ولما بلغ الشيخ أربعة عشر عاما التحق بجامع الزيتونة الأعظم سنة 1310هـ-1893م، بتوجيه من والده وجده للأم، وأساتذته، حيث درس في هذه المرحلة من دراسته علوما شتى كالنحو، والبلاغة، واللغة، والمنطق، وعلم الكلام، والفقه وأصوله، والفرائض، والحديث، والسيرة، والتاريخ... فكان رحمه الله على اطلاع واسع وحفظ جيد وفهم عميق وغوص على الحقائق والدقائق، عزَّ وجوده بين مفكري عصره ودامت دراسته بجامع الزيتونة سبع سنوات، انتهت بإحرازه على شهادة التطويع سنة 1317هـ الموافق ل 1899م.[1]

وقد أخذ ابن عاشور العلم على يد ثلة من العلماء الأجلاء.

- **شيوخه:** من أهمهم:

- جده للأم محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بوعتور، كان المرشد الأمين والموجه القدير لابن عاشور في شتى المجالات العلمية والأدبية والإصلاحية.[2]

- عمر ابن الشيخ: أبو حفص عمر ابن الشيخ أحمد المعروف بابن الشيخ ، مفتي تونس ونواحيها، توفي سنة 1328هـ- 1910م.[3]

[1] ينظر: بلقاسم الغالي- شيخ الجامع الأعظم- ص 37- 39.

[2] المرجع نفسه، ص:42.

[3] محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ت: عبد المجيد خيالي- ط1/1424هـ-2002م- ج1 ص 598-599.

-صالح الشريف: ينحدر من أسرة يعود أصلها إلى الجزائر من منطقة بجاية، من الأعلام البارزين الذين تلقى عنهم ابن عاشور دروس التفسير والعقائد. توفي سنة 1338هـ- 1919م.[1]

-سالم بوحاجب: من مواليد بنبلة، قرية ساحلية بتونس، تعلم بجامع الزيتونة. توفي سنة 1343هـ- 1924م.[2]

-محمد النخلي: القيرواني، من أشهر علماء الزيتونة الذين برعوا في العلوم النقلية والعقلية. توفي سنة 1344هـ- 1925م.[3]

ومن شيوخ ابن عاشور أيضا: محمد النجار،وعبد القادر التميمي، ومحمد الخياري.وغيرهم.[4]

- **تلاميذه:** تتلمذ على يديه الكثير، من أبرزهم:

-ابنه الفاضل ابن عاشور: أحد الأئمة الأعلام في تاريخ تونس المعاصر، ومن أعلام الفكر الإسلامي الحديث، الموسوعي الثقافة، والخطيب اللامع، والسياسي المحنك.توفي سنة 1390هـ- 1970م.[5]

- ابنه الثاني عبد الملك ابن عاشور: وهو موظف سام، له بحوث وتحقيقات علمية نشرت بالمجلات التونسية كالهداية وغيرها.[6]

---

[1] بلقاسم الغالي- شيخ الجامع الأعظم- ص 45- 46.
[2] المرجع نفسه- ص 44.
[3] المرجع نفسه - ص 46.
[4] المرجع نفسه- ص45.
[5] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين-ج3 ص 310.
[6] بلقاسم الغالي- المرجع السابق-ص 66.

ومن تلاميذه كذلك: محمد الحبيب ابن الخوجة: تولى عمادة الكلية الزيتونية ثم إفتاء الجمهورية التونسية.[1] وعبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ت: 1359هـ-1940م.[2] وزين العابدين بن حسين ت: 1377هـ-1957م، ومحمد الخياري، وغيرهم.[3]

المطلب الثالث: حياته العملية:

بعد مرحلة من الجد والتحصيل العلمي، انتقل ابن عاشور إلى الحياة العملية ليزاول أنشطة مختلفة ويتقلد مناصب ووظائف علمية وإدارية كان جديرا بها كونه استعد استعدادا كاملا لها. وفيما يلي بيان لذلك:

اقتحم ابن عاشور ميدان التدريس في جامع الزيتونة، وترقى في ذلك حتى أضحى من ذوي الرتب العالية. وارتقى إلى الرتبة الثانية من التدريس سنة 1320هـ- 1899م، ثم نال المرتبة الأولى سنة 1324هـ- 1903م.[4] وفي سنة 1325هـ- 1904م، سمي نائبا عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة فابتدأ أعماله بإدخال نظم مهمة على التعليم... وفي سنة 1329هـ- 1908م، سمي عضوا في لجنة تنقيح برامج التعليم... وفي نفس السنة سمي عضوا بالمجلس المختلط العقاري. وفي سنة 1331هـ- 1913م،

[1] بلقاسم الغالي- شيخ الجامع الأعظم- ص 67.

[2] أيمن بن غازي بن حسين صابر، الاستنباطات عند العلامة محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير-جمعا ودراسة- رسالة ماجيستير- جامعة أم القرى- 1435هـ- 2014م – ص 42.

[3] محمد محفوظ- تراجم المؤلفين التونسيين- ج2 ص 136.و ينظر:محمد القرني، الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسير التحرير والتنوير-رسالة ماجيستير- جامعة أم القرى-1427هـ-ص 13.

[4] ابن عاشور- أليس الصبح بقريب- ص 8.

سمي قاضيا مالكيا للجماعة، وبموجب ذلك دخل في هيئة النظارة العلمية المديرة لشؤون جامع الزيتونة. وفي سنة 1341هـ- 1923م عاد إلى التدريس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية...[1]

وفي هذه السنة عين مفتيا وتدرج فيها إلى أن صار مفتيا ثانيا حين عهد إليه بخطة "باشا مفتي" أي "رئيس المفتين". وقد كان ابن عاشور مالكي المذهب يصدر منه في فتاويه، وعند الحاجة يجتهد في المسائل فيستقي من سائر المذاهب ناظرا ومرجحا، ويعتبر من كبار المجتهدين في الفتوى... [2] مما أدى ذلك إلى تجشمه مخاطر القضاء والإفتاء وتلقى بسبب ذلك انتقادات لاذعة من قبل الأعداء والأصدقاء. ولكنه جابه ذلك بصمت عجيب، فمن تلك الفتاوى، فتوى قراءة القرآن عند تشييع الجنازة وحول الميت وحول قبره عند دفنه.[3] ومسألة التجنيس.[4]

وفي سنة 1351هـ- 1932م، سمي شيخ الإسلام المالكي وهو أول من تولى هذه الخطة، وشيخا لجامع الزيتونة وفروعه، ثم اقتصر على وظيفة شيخ الإسلام... [5] ونظرا لمكانته العلمية وتبحره في علوم العربية وآدابها، تم انتخابه عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1370هـ-1950م، ثم سنة 1375هـ-1955م، عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق.[6]

[1] محمد محفوظ- تراجم المؤلفين التونسيين- ج 3 ص 304- 305.

[2] ينظر: بلقاسم الغالي- شيخ الجامع الأعظم- ص 62 و ص 149.

[3] ابن باديس عبد الحميد محمد- آثار ابن باديس- ت: عمار طالبي- دار ومكتبة الشركة الجزائرية- ط1/ 1388هـ- 1968م- ج 3 ص 76.

[4] هي قضية اتهم فيها ابن عاشور رحمه الله، وكان الغرض منها النيل من مكانته وتلويث سمعته. ينظر تفصيلها في: بلقاسم الغالي- شيخ الجامع الأعظم-ص 138-145.

[5] ينظر: محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين- ج3 ص 304- 305، وينظر: بلقاسم الغالي، من أعلام الزيتونة- ص56-62.

[6] ابن عاشور- أليس الصبح بقريب- ص 9.

إن أنشطة كهذه مارسها الشيخ ابن عاشور، ووظائف إدارية وعلمية تقلدها، لهي حقيقة بأن ترفع من قدر الشيخ وتزيد إلى شخصيته العلمية مكانة وسموا بين العلماء.

المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

حظي ابن عاشور بمكانة سامقة بين العلماء، ولا أدل على ذلك من نشأته في أسرة علمية، وتتلمذه على يد علماء أجلاء، إضافة إلى مختلف الوظائف العلمية والإدارية التي تقلدها، والمؤلفات التي تركها في شتى الفنون، الأمر الذي جعل العلماء يثنون عليه أيما ثناء وينوهون بفضله وعظيم شأنه. وأكتفي بذكر اثنين منهم:

- **محمد الخضر حسين** حيث قال عنه: « وللأستاذ فصاحة منطق وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر، صفاء الذوق وسعة الاطلاع في آداب اللغة... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم.»[1]

- **محمد البشير الإبراهيمي**: قال عنه: «علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية، مستقل في الاستدلال لها، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بتحملها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطلاع على المنقول منها، أقرأ وأفاد، وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي...»[2]

[1] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 3 ص 306.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- دار الغرب الإسلامي- ط1/ 1997م. ج 3ص 549.

المطلب الخامس: آثـاره العلمية ووفـاته:

1.آثـاره العلمية:

ترك ابن عاشور للمكتبة الإسلامية مؤلفات علمية راقية في مختلف العلوم، مابين مطبوع ومخطوط وتحقيقات، وهي كالتالي:

- **المؤلفات المطبوعة:**

-في التفسير:

-تفسير التحرير والتنوير.وهو أعظم مؤلفاته على الإطلاق.

-في الحديث:

-النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح للبخاري.

-كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.

-في الفقه وأصوله:

-حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات التنقيح على شرح الفصول في الأصول للقرافي.

-مقاصد الشريعة الإسلامية.

-في اللغة والأدب:

-وجيز البلاغة.[1]

[1] محمد النذير أوسا لم، الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره "التحرير والتنوير"- دار ابن حزم- بيروت- ط1/ 1430هـ- 2009 ص43- 49.

-أصول الإنشاء والخطابة.

-شرح المقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام.

-في الفكر والإصلاح:

-نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق.

-أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.

-أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية.

-في السيرة:

-قصة المولد.

- **تحقيقاته:**

-تحقيق قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلق.

-تحقيق ديوان النابغة الذبياني.

-تحقيق ديوان بشار بن برد.

-تحقيق الواضح في مشكلات شعر المتنبي للأصفهاني.

-تحقيق سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي.[1]

[1] محمد النذير أوسالم، الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره "التحرير والتنوير"ص: 50- 53.

- **المؤلفات المخطوطة:**

-رسالة القدرة والقدر.

-قلائد العقيان، شرح وتحقيق وإكمال.

-الفتاوى.

-قضايا وأحكام شرعية.

-مسائل فقهية وعلمية تكثر الحاجة إليها ويعول في الأحكام عليها.

-تعليق وتحقيق على شرح حديث أم زرع.

-أمالي على مختصر خليل.

-آراء اجتهادية.

-تعليق وتحقيق على كتاب خلف الأحمر المعروف بمقدمة في النحو.

-تراجم لبعض الأعلام.

-تحقيق وتعليق على كتاب "الاقتضاب" لابن السيد البطليوسي مع شرح كتاب "أدب الكاتب".

-فرائب الاستعمال.

-شرح معلقة امرئ القيس.

-كتاب تاريخ العرب.[1]

[1] محمد النذير أوسالم، الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره " التحرير والتنوير" ، ص: 54- 55.

2.وفـاتـه:

بعد حياة حافلة بالعطاء والنشاط والتعليم وخدمة الدين، لقي ابن عاشور ربه، يوم الأحد 13 رجب 1393هـ الموافق ل 12 أوت 1973م.[1]

فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

يـــــا داعيا للنور والتنويـر... ومجددا للعلم بـالتحريـــــر

شهد الجميع بأن فكرك عندهم... شمس الدجى في العلم والتغيير

أودعت في التفسير علما نافعا... وأجدت في التعبير و التصوير

وبلغت في النفس شأنا عاليا... وحظيت بـالتكريم والتقديـــر

فعليك من رب الخلائق رحمة... مـا لاح فجر فاضح بالنـور.[2]

[1] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 3 ص 307.

[2] عبد النبي محمد عباس- موجز تفسير آيات الصبر عند الطاهر ابن عاشور- دار المكتبة العصرية- القاهرة- مصر- ط1/ 2013م- ص: 5

المبحث الثالث: التعريف بتفسير"التحرير والتنوير":

المطلب الأول: اسمه و بواعث ومدة تأليفه:

1.اسمه: قال ابن عاشور عن اسم الكتاب: « وسميته: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، واختصرت هذا الاسم باسم: التحرير والتنوير من التفسير»[1]

2.بواعث تأليفه: أما عن بواعث تأليفه للتفسير، فيقول: « فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق... »[2]

3. مدة تأليفه: يقول ابن عاشور –رحمه الله–: « كان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف. فكانت مدة تأليفه تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر. وهي حقبة لم تخل من أشغال صارفة، ومؤلفات أخرى أفنانها وارفة... »[3]

المطلب الثاني: مقدمات التفسير:

1.مقدمات التفسير: بدأ ابن عاشور تفسيره بمقدمات منهجية في علوم القرآن الكريم وفي أصول التفسير، لتكون كما قال: « عونا للباحث في التفسير»[4] حيث تطرق فيها إلى مواضيع تخدم التفسير ومنهجه. وقد

[1] ابن عاشور– التحرير والتنوير–ج1 ص 9.
[2] المصدر نفسه– ج1 ص 5.
[3] المصدر نفسه– ج 30 ص 636.
[4] المصدر نفسه –ج1 ص 9.

ذكر فيها لطائف علمية ومسائل دقيقة. ويلحظ من هذه المقدمات أن هدف ابن عاشور منها هو بيان طريقته ومنهجه الذي سيسير عليه في التفسير وبيان موقفه أيضا من بعض القضايا الخلافية بين المفسرين.[1]

وأكتفي بذكر عناوين تلكم المقدمات، وهي كالآتي:

-المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علما.

-المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

-المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

-المقدمة الرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفسر.

-المقدمة الخامسة في أسباب النزول.

-المقدمة السادسة في القراءات.

-المقدمة السابعة قصص القرآن.

-المقدمة الثامنة في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

-المقدمة التاسعة في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.

-المقدمة العاشرة في إعجاز القرآن.[2]

المطلب الثالث: منهجه العام في التفسير:

1.مصادره في التفسير: أما عن المصادر التي اعتمد عليها ابن عاشور في تفسيره، فقد ذكر في مقدمته بعض مصادر التفسير حيث قال:«... وإن أهم التفاسير تفسير "الكشاف" و "المحرر الوجيز" لابن عطية

[1] سامر عبد الرحمن رشواني- الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور- مجلة إسلامية المعرفة- المعهد العالمي للفكر الإسلامي-بيروت- العدد الثالث والعشرون- 1421هـ- 2000م- ص: 83- 84.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير- ج1 ص 10- 101.

و "مفاتيح الغيب" لفخر الدين الرازي، و "تفسير البيضاوي" الملخص من "الكشاف" ومن "مفاتيح الغيب" بتحقيق بديع، و"تفسير الشهاب الألوسي"، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والتفتازاني على "الكشاف"، وما كتبه الخفاجي على "تفسير البيضاوي"، و "تفسير أبي السعود" ، و "تفسير القرطبي" والموجود من "تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي" من تقييد تلميذه الأبي وهو بكونه تعليقا على "تفسير ابن عطية" أشبه منه بالتفسير، لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن، و "تفاسير الأحكام، وتفسير الإمام محمد ابن جرير الطبري ، وكتاب "درة التنزيل" المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني »[1]

وقد اعتمد ابن عاشور على مصادر أخرى في تفسيره في مختلف العلوم: من فقه وحديث ولغة وغيرها.[2]

2.معالم منهجه في التفسير: يمكن ذكر أهم معالم منهج ابن عاشور في تفسيره، كما يلي:

- اهتمامه بذكر المباحث اللغوية والنكت البلاغية التي لم يسبق إليها، فتفسيره يعد من أهم التفاسير البلاغية.

- تخيره في المنقولات واعتناؤه بتمحيص مايورد من الأقوال والآراء والترجيح بينها.

- عنايته بمقاصد القرآن وأغراض السور، وذكر المناسبات.[3]

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير- ج1 ص: 7

[2] ينظر تفصيل ذلك في: نبيل أحمد صقر، منهج الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في التفسير "التحرير والتنوير"- الدار المصرية- ط1/ 1422هـ- 2001م- ص:21- 39.

[3] ينظر: شعيب بن محمد بن أحمد الغزالي، مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور- رسالة دكتوراه- جامعة أم القرى- 1434هـ- 1435هـ- ص: 68

– ذكره لأسباب النزول، ومايميز ابن عاشور فيها هو توظيفه لها في توجيه الآيات.

– عنايته بالقراءات من جهتين: إيراد الصحيح المتواتر والإعراض عن غيره. والآخر: التعليق والتحليل لأوجه اختلاف القراءات بما يعرف منه الأحكام والحكم القرآنية واستنباط أقصى ما يمكن من المعاني التي تحتملها الآية.

– التزام المؤلف بما حدده من منهج وطريقة في عرض الآيات وشرح ألفاظها إلى حد كبير.

– تبنى ابن عاشور منهج الإصلاح في تفسيره، حيث جعل التفسير لآيات القرآن العزيز أفضل الوسائل في دعوة الناس وهدايتهم. [1] وهذا الأمر قد نبه عليه ابن عاشور من أن القرآن هو الكفيل بتحقيق الصلاح للإنسان. كما سيأتي في عرضه لمقاصد القرآن.

[1] شعيب الغزالي– مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور– ص: 69– 70.

الفصل الأول: الدراسة التأصيلية لمقاصد القرآن

تكتسب مقاصد القرآن الكريم أهميتها ودورها في التفسير من خلال حديث العلماء عنها وإبرازهم لها. وتنوع تقسيماتها بحسب اجتهاد كل عالم. ويضاف إلى ذلك علاقة التأثر والتأثير في صياغة المقاصد للدلالة على أن هذا الموضوع جدير بالبحث من حيث عرض العلماء له، وصولا إلى ابن عاشور وطريقته في الحديث عنه وتأصيله له. وفي هذا الفصل بيان لذلك .

ويتجلى ذلك في مبحثين:

المبحث الأول: تقسيمات مقاصد القرآن عند العلماء وأهميتها

المبحث الثاني: منهج بيان مقاصد القرآن عند ابن عاشور

المبحث الأول: تقسيمات مقاصد القرآن عند العلماء وأهميتها:

المطلب الأول: تقسيمات مقاصد القرآن عند العلماء:

تنوعت تقسيمات العلماء لمقاصد القرآن، كل بحسب اجتهاده واستنباطه، وليس الغرض هنا استقصاء كل التقسيمات، وإنما ذكر أهمها، لمعرفة طريقة تناولهم لها، ولمعرفة تطور هذا العلم واهتمام العلماء به. و يمكن بيان ذلك على النحو التالي:

1.أنواع مقاصد القرآن عند الأصوليين:

- **مقاصد القرآن عند أبي حامد الغزالي(ت:505هـ):**

يرى الغزالي في كتابيه "إحياء علوم الدين"، و"جواهر القرآن"، أن مقصد القرآن الأعظم هو بيان معرفة الله تعالى.[1] وقد حصر في الفصل الثاني من كتابه "جواهر القرآن" مقاصد القرآن فقال: « انحصرت سُوَرُ القرآن وآياتُه في ستة أنواع: ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المهمة. وثلاثة: هي الرَّوادف والتوابع المغنِيَة المتِمَّة.

أما الثلاثة المهِمَّة فهي: تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه.»[2]

[1] الغزالي – إحياء علوم الدين– دار المعرفة – بيروت– (د.ط/ د.ت)، ج1 ص 282– 289. وينظر: الغزالي– جواهر القرآن– ص: 23.

[2] الغزالي، جواهر القرآن، ص 23.

« وأما الثلاثة المغْنِيَة المتِمَّة: **فأحدها**: تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صُنع الله فيهم؛ وسِرُّهُ ومقصودُه التشويق والترغيب، وتعريفُ أحوال النَّاكبين والنَّاكلين عن الإجابة وكيفية قمعِ الله لهم وتنكيله لهم؛ وسِرُّه ومقصوده الاعتبار والترهيب. **وثانيها**: حكاية أحوال الجاحدين، وكَشْفُ فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجَّة على الحق، وسِرُّه ومقصوده في جنب الباطل الإفضاحُ والتَّنْفير، وفي جَنب الحق الإيضاحُ والتَّثْبيتُ والتَّقهير. **وثالثها**: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأُهبة والاستعداد. فهذه ستة أقسام.»[1]

ثم عقد الغزالي مباشرة بعد هذا الإجمال فصلا فصَّل فيه هذه المقاصد التي ذكرها.[2] وليس المقام هنا لبسطها. وإنما الملاحظ من هذا التقسيم أمران رئيسيان هما:

- أن الغزالي يعد الوحيد الذي وضع تقسيما دقيقا واضحا وشاملا لجميع مقاصد القرآن، وسنجد أن تصنيف العلماء بعد الغزالي لايكاد يخرج عما ذكره.[3] ويعضد هذا ما ذكره ابن عاشور نفسه في المقدمة الرابعة من تفسيره حيث قال، بعد عرضه للمقاصد الأصلية التي انتهى إليها استقراؤه: «هذا ما بلغ إليه استقرائي، وللغزالي في إحياء علوم الدين بعض من ذلك.»[4]
- أن تقسيم الغزالي هذا، غلبت عليه ثقافته ولغته الصوفية في صياغته للمقاصد القرآنية.[5]

---

[1] الغزالي، جواهر القرآن، ص 23- 24.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 25- 34.

[3] مسعود بودوخة، جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم، ص966 وص 969.

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1 ص 41.

[5] الريسوني، مقاصد المقاصد، ص 25.

- **مقاصد القرآن عند العز بن عبد السلام(ت:660هـ):**

جمع العز بن عبد السلام في كتابه "قواعد الأحكام في إصلاح الأنام" مقاصد القرآن في عبارة فقال:

« ومعظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها.»[1]

وقال في موضع آخر: «ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة لعلمنا أن الله أمر بكل خير دقه وجله، وزجر عن كل شر دقه وجله، فإن الخير ما يعبر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد، والشر ما يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح.[2] وقد: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[3]

والملاحظ من كلام العز بن عبد السلام: أنه اختزل مقاصد القرآن في جلب المصالح وأسبابها ودرء المفاسد وأسبابها، في حين أنها أوسع من ذلك.

كما أن كتابه "قواعد الأحكام في إصلاح الأنام" «يعد من كتب القواعد الفقهية التي عنيت بمقاصد الشريعة وأحكامها.»[4] فهذا يدل على أنه اعتنى بمقاصد الأحكام العملية بالدرجة الأولى.

[1] العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ج1 ص 11- 12.
[2] المرجع نفسه ج 2 ص 315.
[3] سورة الزلزلة، الآية: 7 – 8.
[4] العز بن عبد السلام- المرجع السابق- ص34.

- **مقاصد القرآن عند الشاطبي(ت:790هـ):**

يرى الشاطبي أن القرآن المكي مقرِّرٌ لثلاثة معان أصلها معنى واحد وهو: الدعاء إلى عبادة الله تعالى.[1] وبين الشاطبي هذه المعاني فقال: « أحدها: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق...والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد ﷺ، والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة وأنه حق لاريب فيه...فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر...ويتبع ذلك الترغيب والترهيب والأمثال والقصص، وذكر الجنة والنار ووصف يوم القيامة وأشباه ذلك.»[2]

«وجعل الشاطبي القرآن – باستثناء أغلب السور المكية – متوجها إلى مقاصد الشريعة وأنواعها: الضروريات والحاجيات والتحسينيات. وقد حظيت هذه المقاصد عند الشاطبي باهتمام كبير حتى شكلت في النهاية نظرية علمية محكمة».[3]

2.أنواع مقاصد القرآن عند المفسرين:

تكلم غير واحد من المفسرين عن مقاصد القرآن في ثنايا تفاسيرهم، وسأكتفي بذكر واحد من المتقدمين واثنين من المتأخرين لبيان أن الحديث عن مقاصد القرآن بدا بشكل واضح المعالم والمحاور عند أهل التفسير–خاصة المتأخرين– مقارنة مع ما أورده الأصوليون –كالعز والشاطبي– الذين تحدثوا عنه في سياق مقاصد الشريعة.

[1] الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى– الموافقات في أصول الشريعة. ت: عبد الله دراز– دار الحديث– سنة الطبع: 1427هـ– 2006م– ج 3 ص 289.

[2] المرجع نفسه.ج3 ص 289.

[3] زياد خليل – مقاصد القرآن في فكر النورسي، ص 359– 360.

- **مقاصد القرآن عند الفخر الرازي(ت:606هـ):**

تحدث الرازي عن مقاصد القرآن عند تفسيره لسورة الفاتحة حيث قال: «والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى. فقوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1] يدل على الإلهيات، وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[2] يدل على المعاد، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3] يدل على نفي الجبر والقدر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[4]، يدل أيضا على إثبات قضاء الله وقدره وعلى النبوات... فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة وكانت هذه السورة مشتملة عليها لقبت بأم القرآن»[5] وكثيرا ما يقرر الرازي أن المسائل الثلاثة الأولى:(الإلهيات– المعاد — النبوات) هي مدار القرآن كله.[6]

والذي يلاحظ على تصنيف الرازي لمقاصد القرآن أنه يرجع إلى محور واحد وهو العقيدة.[7] وهي أم المقاصد التي جاء بها القرآن. ثم إن الذي يعلل صياغة الرازي للمقاصد بهذه القضايا والمحاور هو:« الصراع

---

[1] الفاتحة: 2– 3.

[2] الفاتحة: 4.

[3] الفاتحة: 5.

[4] الفاتحة: 6 – 7.

[5] الرازي، التفسير الكبير– ج 1 ص 179.

[6] زياد خليل، مقاصد القرآن في فكر النورسي، ص 359.

[7] ينظر: مسعود بودوخة، جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم– ص 961.

الفكري القائم بين المذاهب الفكرية الإسلامية – والمعتزلة على وجه الخصوص– من جهة، وبين هذه المذاهب والتيارات الفلسفية من جهة أخرى...»[1]

- **مقاصد القرآن عند محمد عبده (ت:1323هـ):**

يرى محمد عبده أن القرآن نزل من أجل تحقيق أمور: «**أحدها:** التوحيد. **وثانيها:** وعد من أخذ به وتبشيره بحسن المثوبة ووعيد من لم يأخذ به وإنذاره بسوء العقوبة. **وثالثها:** العبادة التي تحي القلوب بالتوحيد وتثبته في النفوس. **ورابعها:** بيان سبيل السعادة وكيفية السير فيه الموصل إلى نعم الدنيا والآخرة. **وخامسها:** قصص من وقف عند حدود الله تعالى، وأخذ بأحكام دينه، وأخبار الذين تعدوا حدوده ونبذوا أحكامه ظهريا لأجل الاعتبار واختيار طريق المحسنين ومعرفة سنن الله في البشر.»[2]

والذي يلاحظ من هذا التقسيم أن مقاصد القرآن بدأت تتوسع محاورها، فتعدت التوحيد إلى غايات أخرى كالعبادة والوعد والوعيد والقصص، كما ذكر.ثم إن الذي يميز هذا التصنيف هو استثماره في العمل التفسيري من خلال جعل القرآن الكريم مصدر الهداية وإرشاد البشر لما فيه سعادتهم . يقول زياد خليل: «وهذا كله منبثق مما بينه أبو حامد من مقاصد للقرآن الكريم، إلا أن الفرق بينهما يتمثل في أسلوب عرض المقاصد وبيانها، وتوظيفها في العمل التفسيري، ولاشك في أن محمد عبده كان في مجال التفسير أشد

[1] زياد خليل، مقاصد القرآن في فكر النورسي– ص 359. وينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين– دار القلم– دمشق– ط4/ 1431هـ– 2010م– ص 474.

[2] زياد خليل– المرجع نفسه– ص 360– 361.

اهتماما بما حدده من مقاصد، فكان يفسر القرآن من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في دنياهم وأخراهم.»[1]

- **مقاصد القرآن عند محمد رشيد رضا(ت:1355هـ):**

تكلم رشيد رضا في تفسير المنار عن مقاصد القرآن عند تفسيره لأول سورة يونس، حيث أورد عنوانا سماه: «مَقَاصِدُ الْقُرْآنِ، فِي تَرْقِيَةِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ، وَمَا فِيهِ مِنَ التَّكْرَارِ[2]»، وأوصلها إلى عشرة مقاصد أكتفي بذكر عناوينها، وهي كالتالي:

- النوع الأول من مقاصده: الإصلاح الديني لأركان الدين الثلاثة:
- الركن الأول للدين: الإيمان بالله تعالى.
- الركن الثاني من أركان الدين: عقيدة البعث والجزاء.
- الركن الثالث للدين: العمل الصالح.
- المقصد الثاني من مقاصد القرآن: بيان ما جهل البشر من أمر النبوة والرسالة ووظائف الرسل.
- المقصد الثالث من مقاصد القرآن: بيان أن الإسلام دين الفطرة السليمة، والعقل والفكر، والعلم والحكمة، والبرهان والحجة، والضمير والوجدان، والحرية والاستقلال.[3]

[1] ينظر: زياد خليل، مقاصد القرآن في فكر النورسي، ص 361.
[2] رشيد رضا- تفسير المنار- ج11 ص 206.
[3] المرجع نفسه- ج 11 ص 207- 244.

- المقصد الرابع من مقاصد القرآن: الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي الذي يتحقق بالوحدات الثمان:(وحدة الأمة – وحدة الجنس البشري – وحدة الدين – وحدة التشريع بالمساواة في العدل – وحدة الأخوة الروحية والمساواة في التعبد – وحدة الجنسية السياسية الدولية – وحدة القضاء – وحدة اللغة.)
- المقصد الخامس من مقاصد القرآن: تقرير مزايا الإسلام العامة في التكاليف الشخصية من العبادات والمحظورات.
- المقصد السادس من مقاصد القرآن: بيان حكم الإسلام السياسي الدولي: نوعه وأساسه وأصوله العامة.
- المقصد السابع من فقه القرآن: الإرشاد إلى الإصلاح المالي.
- المقصد الثامن من فقه القرآن: إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها وقصرها على ما فيه الخير للبشر.
- المقصد التاسع من فقه القرآن: إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.
- المقصد العاشر من فقه القرآن : تحرير الرقبة[1].

وقد تكلم رشيد رضا أيضا بالتفصيل عن مقاصد القرآن في كتابه "الوحي المحمدي"، حيث خصص الفصل الخامس منه للحديث عنها.[2] وليس المقام هنا لبسطها، وإنما الذي يلاحظ من هذا

[1] رشيد رضا، تفسير المنار- ج 11 ص 255- 288.

[2] ينظر: رشيد رضا، الوحي المحمدي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1/ 1426هـ- 2005م- ص 121- 257.

التقسيم: توسع مقاصد القرآن ومحاوره. وبهذا يكون رشيد رضا من أول من عرض مقاصد القرآن بهذا الاستقصاء والبيان والتوسع.[1] ثم ما يبرر هذا التوسع من رشيد رضا ما ذكره زياد خليل، من أن هذه الصياغة للمقاصد بهذه المحاور والأغراض «... تستجيب لما تطمح الإنسانية إلى تحقيقه في واقع الحياة، وهي جديرة بذلك لأنها منتظمة من وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه... كما أنها تشي بمحاولة إصلاحية في منهج فهم القرآن وتفسيره، وقد ظهر تجسيد هذه المقاصد بشيء من الوضوح والاعتدال في تفسير المنار.»[2]

وعليه، يمكن القول من خلال هذا العرض الموجز لتقسيمات العلماء لمقاصد القرآن، أن هذا الموضوع شهد اهتماما وتطورا ملحوظا –خاصة عند المفسرين– وبدا هذا جليا عند رشيد رضا ومحمد عبده، وفي الوقت ذاته يظهر تأثير البيئات والخلفيات الفكرية للعلماء في صياغتهم لمقاصد القرآن.

ومن هنا تبرز أهمية العلم بها وتأثيرها في التفسير. وهو ما سأبينه في المطلب الموالي.

[1] الريسوني، مقاصد المقاصد– ص 26.

[2] زياد خليل، مقاصد القرآن في فكر النورسي– ص 362.

المطلب الثاني: أهمية العلم بمقاصد القرآن:

كما تكلم العلماء عن تصنيفات مقاصد القرآن، تكلموا أيضا عن أهمية العلم بها في الجانب التفسيري خاصة. وتتجلى هذه الأهمية في النقاط التالية:

1. ضبط العملية التفسيرية. يقول الريسوني:« مقاصد القرآن هي الميزان والمعيار الذي يضبط عملية التفسير، فبمراعاتها يضمن المفسر لنفسه ولتفسيره أن تكون اهتماماته ومقاصده واستنباطاته في نطاق مقاصد القرآن بلا زيادة ولا نقصان، وهذا ضرب من تفسير القرآن بالقرآن، ويمكن تسميته "التفسير القرآني في ضوء مقاصده". وهذه هي الفائدة العلمية الأهم والأوسع أثرا، وهي التي تعصم المفسرين من الانجرار وراء أمور لا مكان لها في مقاصد الكتاب العزيز.»[1]

ومن هذا المنطلق نجد أن رشيد رضا قد أكد في مقدمة تفسيره على ضرورة جعل مقاصد القرآن هي المحور الذي يدور معه تفسير المفسر للقرآن، وانتقد إيغال المفسرين في ذكر المسائل النحوية والبلاغية والفقهية وإيراد الإسرائيليات وتكثير سوْقِ الروايات، على حساب مقاصد القرآن العالية التي جاء بها من هداية وإصلاح وتعليم وإرشاد للناس.[2]

ولا غرابة أيضا أن نجد مفسرا كابن عاشور يؤكد ويؤسس لهذا المعنى حينما فسر قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

[1] الريسوني، مقاصد المقاصد- ص 42- 43.

[2] ينظر، رشيد رضا، تفسير المنار- ج 1 ص 7- 10 -17- 18.

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، حيث قال:« وتعليم الكتاب هو تبيين مقاصد القرآن.»[2]

وبالتالي؛ فمقاصد القرآن معتبرة في المناهج التفسيرية من حيث ضبطها للعمل التفسيري، إذ هي سبيل للفهم الراشد والوصول للتفسير المراد.[3]

2. مقاصد القرآن تقود المفسر إلى إدراك معاني التنزيل وغاياته، وتقلل من وقوعه في الخطأ.

يقول قطب الريسوني:« والمؤول إن ذهل عن هذه المقاصد أو استخف برؤيتها الكلية الحاكمة على تفسير القرآن، والمهيمنة على منهج التدبر، والموجهة للسياق العام، فإنه لايهتدي إلى لب المعنى وجوهر الدلالة، وربما أحل مقاصده مقاصد المتكلم، ونسخ باجتهاده مرادات الوحي عن جهل، أو تجاهل، أو مكابرة.»[4]

3. معرفة مقاصد القرآن هي السبيل لفهم محاور الرسالة القرآنية و الغايات الكبرى التي ترمي إلى تحقيقها.

يقول في هذا طه العلواني: «...فالذي يقرأ القرآن في إطار وحدته الكلية غير الذي يقرأه قراءة انتقائية، تسلخ الآيات عن سياقها الكلي، كما أن الذي ينظر إليه قصصا وتشريعا وترغيبا وترهيبا، غير الذي ينظر إليه جامعا شاملا خالدا مجردا عن حدود المكان والمكان، يغطي الوجود الكوني وحركته، باعتبار أن القرآن هو المعادل الموضوعي في الوعي للكون وحركته وعلاقاته، وعبر استمرارية وتغيرات الزمان والمكان.» [5]

---

[1] آل عمران: الآية 164.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير- ج 4 ص 159.

[3] ينظر: أمينة رابح- مقاصد السور القرآنية- دراسة نظرية تطبيقية- رسالة دكتوراه- جامعة وهران- 2012/ 2013م- ص: 87.

[4] قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر"مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني"- منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية- ط1/ 1431هـ- 2010م – ص 474.

[5] محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن – مدخل الكتاب: لطه جابر العلواني- ص6.

4. مقاصد القرآن تعين الباحث في مجال التفسير الموضوعي [1]. فبمعرفتها: « يستطيع الباحث جمع شتات موضوعه تحت مظلة واحدة. فإذا اختار مثلا موضوع "دعوة النبي إبراهيم عليه السلام في القرآن"، فإن الباحث فيه سيربط موضوعه بالمقاصد القرآنية، فتكون دراسته له دراسة وافية شاملة؛ كأن يربطه بالمقصد الأساسي للقرآن وهو دعوة الخلق إلى عبادة الله تعالى، وإلى الدخول في دينه، وكيف قام إبراهيم عليه السلام بتحقيق هذا المقصد من خلال الآيات التي تكلمت عنه.»[2]

5. معرفة مقاصد القرآن تسهم في بيان المعاني وتوجيهها والترجيح بينها يقول مسعود بودوخة: «... إن توجيه المعنى أو الترجيح بين الدلالات المختلفة، أو استنباط الأحكام والأبعاد المختلفة للنص يعتمد على الإلمام بالمقاصد العامة من قبل المفسر، وما المعاني والدلالات التي تواجه المفسر أو المستنبط إلا تفرعات عن أصول تمثلها المقاصد.»[3]

6. تعين المقاصد القرآنية على التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل واستخراج أسراره وحكمه. وقد عاب الشاطبي على من لم يلتفت إلى المقاصد. فقال: «فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن فلم يحصل منهم تدبر.»[4]

---

[1] من تعريفاته:"هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر". ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي- دار القلم- دمشق- ط3/ 1421هـ- 2000م- ص 16.

[2] عبد الله الخطيب، مقاصد القرآن الكريم وأهميتها في تحديد الموضوع القرآني- دراسة نصية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن بحث في: مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم عام 1431هـ -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة الشارقة ص 12. أخذ من موقع: https://old.uqu.edu.sa/lib/ar/162205 بتاريخ: 2016/05/28.

[3] مسعود بودوخة، جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم- ص960.

[4] الشاطبي، الموافقات- ج3 ص 266.

ويقول الريسوني: «استحضار مقاصد القرآن عند قراءته وتدبره يمكن قارئه من الفهم السليم للمعاني التفصيلية والمقاصد الخاصة لأمثاله وقصصه ووعده ووعيده، ولكل آية وكل لفظ وكل حكم ورد فيه.» [1]

7. بيان مقاصد القرآن وتجليتها من خلاله إنما هو من التدبر الذي حث عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [2] وقال سبحانه أيضا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [3] ففي هذا دعوة للتأمل في القرآن الكريم بغية استخراج حكمه وأسراره ومقاصده. يقول ابن عاشور:« فمعنى: يتدبرون القرآن: يتأملون دلالته، وذلك يحتمل معنين: أحدهما: أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين...» [4]

8. المقاصد تمكن المجتهد والمفسر من فهم النص فهما سليما إذا ما اتَّبعا فيه سبل فهمه. يوضح هذا الأخضري، حيث عقد في كتابه " الإمام في مقاصد رب الأنام" عنوانا سماه" دور المقاصد في فهم النص". مما قاله فيه: «إن الفهم الأمثل يستدعي تصور الأقوال ومدلولاتها بحسب الاستعمال الشرعي والوضع اللغوي والمقام الخطابي والمقام التعليلي...» [5] فهذه أصول مهمة في فهم النص لدرك مقاصده. وقد فصلها الشيخ في كتابه. [6]

---

[1] الريسوني، مقاصد المقاصد- ص 42.

[2] سورة النساء: الآية 82.

[3] سورة محمد: الآية 24

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير- ج5 ص 137.

[5] الأخضر الأخضري- الإمام في مقاصد رب الأنام، مقاصد الشريعة الإسلامية- دار المختار-ط 1 /2010- ص: 200.

[6] ينظر تفصيلها في: المرجع نفسه-ص: 200-210.

المبحث الثاني: منهج بيان مقاصد القرآن عند ابن عاشور:

إن الناظر في تفسير التحرير والتنوير يلحظ "التوجه المقاصدي" [1] فيه؛ ذلك أن ابن عاشور يقرر منذ البداية أن القرآن هو الجامع لمصالح الدنيا والدين، بل ويذكر بعد ذلك أن من منهجه في التفسير: ألا يتجاوز سورة إلا ويذكر ما أحيط به من أغراضها.[2] ليفرد بعد ذلك كله المقدمة الرابعة من مقدمات تفسيره، للحديث عن مقاصد القرآن، تحت عنوان: فيما يحق أن يكون غرض المفسر.[3] حيث يؤكد ابن عاشور على أن المفسر ينبغي أن يكون تفسيره دائرا مع المقصد القرآني حيث دار، وأن هذا الأمرَ هو الضابط أثناء مطالعة التفاسير. يقول: «... وعن معرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها حتى تستبين لكم غاية المفسرين من التفسير على اختلاف طرائقهم، وحتى تعلموا عند مطالعة التفاسير مقادير اتصال ما تشتمل عليه، بالغاية التي يرمي إليها المفسر فتزنوا بذلك مقدار ما أوفى به من المقصد، ومقدار ما تجاوزه...»[4]

ومن هنا يشرع ابن عاشور في بيان المقاصد التي نزل القرآن الكريم من أجل تحقيقها.

---

[1] سامر عبد الرحمن رشواني- الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور- مجلة إسلامية المعرفة- العدد الثالث والعشرون- 1421هـ- 2000م ص: 81.

[2] ينظر: ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1 ص:5 وص: 8.

[3] المصدر نفسه، ج1 ص: 38.

[4] المصدر نفسه. ج1 ص: 38.

المطلب الأول: أنواع مقاصد القرآن عند ابن عاشور:

يرى ابن عاشور- رحمه الله- أن المحور الأساس الذي نزل القرآن لأجله هو: تحقيق الصلاح. يقول: « إن القرآن أنزله الله تعالى لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1] »[2]. ويوضح ابن عاشور المراد بالصلاح عند تفسيره لقوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[3] فيقول: « الإصلاح ضد الإفساد، أي جعل الشيء صالحا. والصلاح ضد الفساد: يقال: صلح بعد أن كان فاسدا، ويقال: صلح بمعنى وجد من أول وهلة صالحا. فهو موضوع للقدر المشترك».[4]

والذي يظهر من خلال هذا البيان لمعنى الصلاح؛ وجود مصطلحين متقاربين ذكرهما ابن عاشور وهما: الإصلاح والصلاح. والذي يُفهم: أن الإصلاح هو الوسيلة، والصلاح هو الغاية والمقصد منه. وهذا الذي يريده ابن عاشور من أنه هو الغاية الكبرى التي نزل القرآن لأجلها.

ثم يفصل ابن عاشور القول في مقاصد القرآن، فيتحدث عنها من ناحيتين، نذكرها على النحو التالي:

[1] سورة النحل- الآية: 89.

[2] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1 ص: 38.

[3] سورة البقرة- الآية: 11.

[4] ابن عاشور- المصدر السابق- ج 1 ص: 285.

1. **المقصد الأعلى**: ويتمثل في: صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية.[1]

ويعرض ابن عاشور شرحا وبيانا لهذه الجوانب الثلاثة التي تمثل المقصد الأعلى فيقول: « فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر. وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولا من الصلاح الفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية، وهذا هو علم المعاملات، ويعبر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية. وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك إذا هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع ».[2]

هذا ما يتعلق بالمقصد الأعلى من القرآن الكريم، وهو بهذا الشكل: «يندرج ضمن المقاصد العامة الحاصلة من القرآن».[3]

وقد عبر ابن عاشور في كتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية" عن هذا المقصد الأعلى بأنه المقصد الأعظم من الشريعة الإسلامية، وأنها تهدف إلى تحقيق صلاح الإنسان على المستوى الفردي والجماعي

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 1 ص: 38

[2] المصدر نفسه- ج 1 ص: 38.

[3] عبد الكريم حامدي- مقاصد القرآن من تشريع الأحكام- ص: 47.

والعمراني. يقول: « المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء الفساد؛ وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان ودفع فساده، فإنه لما كان هو المهيمن على هذا العالم كان في صلاحه صلاح العالم وأحواله. ولذلك نرى الإسلام عالج صلاح الإنسان بصلاح أفراده الذين هم أجزاء نوعه، وبصلاح مجموعه وهو النوع كله.»[1]

2.المقاصد الأصلية: وهي عند ابن عاشور ثمانية بحسب استقرائه. ويمكن عرضها بشيء من الشرح والبيان لكل مقصد كما يلي:

الأول: « إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما...»[2]

هذا هو المقصد الأصلي الأول الذي نزل القرآن لأجله كما يرى ابن عاشور. وهو بهذا يوافق من سبقه من العلماء في تقسيمهم لمقاصد القرآن.[3] حيث قرروا أن أول ما دعا إليه القرآن هو إصلاح الاعتقاد. بل تتفق غاية جميع الرسل في دعوة أقوامهم على هذا المقصد. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[4] . ويؤكد ابن عاشور على أن هذا هو أول ما جاء به الإسلام. حيث يقول: «... فابتدأ الدعوة بإصلاح الاعتقاد الذي هو إصلاح مبدأ التفكير

[1] ابن عاشور- مقاصد الشريعة الإسلامية- دار سحنون- تونس، ودار السلام- القاهرة- مصر (نشر مشترك)- ط5/ 1433هـ- 2012م- ص: 70.

[2] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 1 ص: 40.

[3] ينظر : المبحث الأول من هذا الفصل- ص: 30و ص 33- 36.

[4] سورة الأنبياء- الآية: 25.

الإنساني الذي يسوقه إلى التفكير الحق في أحوال هذا العالم.»[1] فجعل ابن عاشور من خلال هذا الكلام؛ صلاح العقيدة هو الأساس والمنطلق لكل مقصد يأتي بعدها، ولكل تفكير سليم يقود إلى إصلاح الخلق، ومن ثم صلاح أحوال العالم. يقول عبد المجيد النجار: « ولا يمكن أن يحدث في حياة الأمة الإسلامية انتعاش معتبر إلا بإصلاح عقدي يُرَشد تحمل الأمة لعقيدتها لتقع في النفوس من جديد موقع الدفع إلى العمل الصالح المعمر في الأرض والمنمي للحياة.»[2]

ثم إن ابن عاشور يوضح بأن صلاح العقيدة يكون بأمرين: التفصيل والتعليل. ويشرح المراد منهما فيقول: « فأما التفصيل فهو بأمور ثلاثة: أولها: بتمام الإيضاح لسائر المسلمين. وبإعلان فضائح الضالين في العقيدة على اختلاف ضلالهم والإغلاظ عليهم. وبسد ذرائع الشرك واجتثاث عروقه... وأما التعليل: فذلك باستدعاء العقول إلى الاستدلال على وجود الله وعلى صفاته التي دل عليها تنزيهه».[3]

على ضوء هذا التحليل من ابن عاشور، كان إصلاح الاعتقاد مقصدا ومحورا من المحاور التي أصلها القرآن الكريم.

الثاني: «تهذيب الأخلاق. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4] . وفسرت عائشة- رضي الله تعالى عنها- لما سئلت عن خلقه ﷺ فقالت: "كان خلقه القرآن"[5] . وفي الحديث الذي رواه مالك في "الموطأ" بلاغا أن

[1] ابن عاشور- مقاصد الشريعة الإسلامية- ص: 70.

[2] عبد المجيد النجار- دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية- مجلة إسلامية المعرفة- العدد الأول- ص:57- 58.

[3] ابن عاشور- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام- دار سحنون- تونس و دار السلام- القاهرة-(نشر مشترك)- ط 2/ 1427هـ- 2006م- ص: 45.

[4] سورة القلم- الآية: 04.

[5] أخرجه مسلم في صحيحه- 6-كتاب صلاة المسافرين وقصرها-18- باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض. رقم: 746- ص: 374.

رسول الله ﷺ قال: "بعثت لأتمم مكارم حسن الأخلاق"[1]. وهذا المقصد قد فهمه عامة العرب بله خاصة الصحابة...»[2]

هذا هو المقصد الثاني بحسب ابن عاشور وهو تهذيب الأخلاق،- وسيأتي تفسيره للآية التي ذكرها في الفصل الثاني-. ويعد هذا المقصد سبيلا مهما في تحقيق الصلاح الفردي والجماعي والعمراني. يقول ابن عاشور في هذا: « لايكاد ينتظم أمر الاجتماع كمال انتظامه، ولا ترى عقد الأمة مأمونا من انفصامه ما لم تكن مكارم الأخلاق غالبة على جمهورها، وسائدة في معظم تصاريفها وأمورها، لأن ملاك مكارم الأخلاق هو تزكية النفس الإنسانية».[3]

وقد عبر ابن عاشور عن هذا المقصد "بالتهذيب" ؛ ومعنى هذا: أن القرآن نزل في بيئة عربية كانت تتسم بأخلاق حسنة.[4] ومن ثم لم يلغها القرآن كليا بل هذبها وأبطل من الأخلاق الفاسد منها، ودعا إلى التحلي بمكارمها وأحسنها.

الثالث: « التشريع. وهو الأحكام خاصة وعامة. **قَالَ تَعَالَى**: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[5] **وقَالَ تَعَالَى**: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ

[1] رواه مالك في الموطأ- 47-كتاب: حسن الخلق- 1- باب: ما جاء في حسن الخلق- حديث رقم: 1627 بلفظ:"بعثت لأتمم حسن الأخلاق"- من دون كلمة "مكارم" التي أوردها ابن عاشور. قال محمود بن الجميل: مرسل-تفرد به مالك- ص:532

[2] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1 ص: 40.

[3] ابن عاشور- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام- ص: 116.

[4] ينظر: علي البشر الفكي التجاني- مقاصد القرآن الكريم وصلتها بالتدبر-بحث مقدم في : المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن الكريم- قطر1434هـ- أخذ من موقع: http://www.s-alshuraym.com/vb/showthread.php?t=27084 يوم:13 2016/05/28.

[5] سورة النساء- الآية: 105.

﴿ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[1]. ولقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعا كليا في الغالب وجزئيا في المهم. فقوله: ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[2] وقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[3]. المراد بهما: إكمال الكليات التي منها الأمر بالاستنباط والقياس. قال الشاطبي: لأنه على اختصاره جامع والشريعة تمت بتمامه ولا يكون جامعا لتمام الدين إلا والمجموع فيه أمور كلية».[4]

جعل ابن عاشور التشريع مقصدا قرآنيا مستقلا؛ وهذا جلي للأدلة التي ساقها. وبين بأن القرآن قد حوى كليات التشريع، وهي موجودة في القرآن المكي ابتداء، أما تفصيلاتها فوردت في المدني منه. وهذا ما أشار إليه الشاطبي بقوله: «اعلم أن القواعد الكلية هي الموضوعة أولا، والذي نزل بها القرآن على النبي ﷺ بمكة، ثم تبعها أشياء بالمدينة، كملت تلك القواعد التي وضع أصلها بمكة، وكان أولها: الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، ثم تبعه ما هو من الأصول العامة كالصلاة وإنفاق المال وغير ذلك...»[5]

ثم إن الذي يلفت النظر في هذا المقصد عند ابن عاشور في تفسيره، هو ذكره لحكمة الشارع من التشريع فلا يكتفي بالوقوف عند ظاهر النص وإنما يجلي لنا أسرار التشريع ومقاصده فيه. ولا غرابة في هذا، فإن ابن عاشور يعد من أعلام المقاصد في العصر الحديث. ويشهد لهذا كتابه الرائد:"مقاصد الشريعة الإسلامية".

---

[1] سورة المائدة- الآية: 48.

[2] سورة النحل- الآية: 89.

[3] سورة المائدة- الآية: 03.

[4] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 1 ص: 40.

[5] الشاطبي- الموافقات- ج 3 ص: 72.

الرابع: سياسة الأمة: وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد إلى تكوين الجامعة بقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾[2] وقوله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3] وقوله:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[4] ».[5]

إن ابن عاشور بهذا الطرح يؤصل لمقصد قرآني مهم هو : سياسة الأمة ، والمراد بها: «إقامة الدين وسياسة المحكومين.» [6] وهذا يندرج ضمن مقصدي الصلاح الجماعي والعمراني، الذين أصلهما ابن عاشور عاشور في المحور الأعلى من القرآن الكريم.[7]

ويرى ابن عاشور في كتابه "أصول النظام الاجتماعي"، أن سياسة الأمة لها أصول ومقومات ترتكز عليها، وجمعها في فنين: وهي –بإيجاز– :

« الفن الأول: فن القوانين الضابطة لتصرفات الناس في معاملاتهم، وعماده: مكارم الأخلاق والعدالة والإنصاف، والاتحاد والمواساة (من تحابب ونصح وحسن معاشرة وسماحة. والفن الثاني: فن القوانين التي بها

[1] سورة آل عمران– الآية : 103.
[2] سورة الأنعام– الآية: 159.
[3] سورة الأنفال– الآية: 46.
[4] سورة الشورى– الآية: 38.
[5] ابن عاشور– التحرير والتنوير– ج1 ص: 40– 41.
[6] عبد الكريم حامدي– مقاصد القرآن من تشريع الأحكام– ص: 570.
[7] ابن عاشور – المصدر السابق– ج1 ص: 38.

رعاية الأمة في مرابع الكمال، وعماده: المساواة والحرية وتعيين الحق والعدل ومال الأمة وتوفير الأموال وحماية البيضة(الجهاد، والتجارة إلى أرض العدو، والصلح والجزية) ، والصلح ونشر الدين ».[1]

وقد تكلم ابن عاشور عن هذا المقصد بالتفصيل شارحا لكل أصل ذكره. وذلك في كتابه "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"[2]

الخامس: « القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[3]، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[4] وللتحذير من مساويهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾[5] ﴾[5] وفي خلالها تعليم ».[6]

اعتبر ابن عاشور القصص مقصدا من مقاصد القرآن ومحاوره، وقد أفرد لها المقدمة السابعة من مقدمات تفسيره.[7] حيث أفاض في الحديث عن القصة القرآنية وفوائدها وأغراضها.

والذي يظهر من كلام ابن عاشور؛ أن القصص القرآني إنما هو من قبيل الوسائل لتحقيق مقاصد أخرى. فقد بين بأن الغرض منها هو التأسي بصالح أحوال من سلف والتحذير من مساويهم.

---

[1] ابن عاشور- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام- ص: 115.
[2] ينظر: المرجع نفسه- ص: 114- 220.
[3] سورة يوسف- الآية: 03.
[4] سورة الأنعام- الآية : 90.
[5] سورة إبراهيم- الآية: 45.
[6] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1 ص: 41.
[7] المصدر نفسه- ج 1 ص:64- 69

ويوضح هذا المعنى ما ذكرته هيا ثامر مفتاح حيث قالت: « القصة القرآنية ذاتها ليست مقصودة في القرآن كما يرى ابن عاشور... بل هي مقصد باعتبار ما يترتب عليها وما تؤول إليه ».[1]

إن القصص بهذا التأصيل عند ابن عاشور يعد مقصدا قرآنيا من حيث إنه مبثوث في سور القرآن وآياته، لكن بقصد تحقيق أغراض وأهداف من ورائه. و هذا الأمر نص عليه ابن عاشور أنه من مقاصد القرآن في إيراد القصص. ومثال ذلك: ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2] حيث قال: « قال المفسرون: إن هاته الآية نزلت في علماء اليهود في كتمهم دلائل صدق النبي محمد صلى ﷺ وصفاته وصفات دينه الموجودة في التوراة وفي كتمهم آية الرجم... فإن من مقاصد القرآن في ذكر القصص الماضية أن يعتبر بها المسلمون في الخير والشر».[3]

السادس: « التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب. وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين وفي دعوته إلى النظر...»[4]

---

[1] هيا ثامر مفتاح – مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ ابن عاشور– مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية– جامعة قطر– العدد29 سنة 1432هـ– 2011م– ص: 33.

[2] سورة البقرة– الآية: 159– 160.

[3] ابن عاشور– التحرير والتنوير– ج2 ص: 65 وص: 69.

[4] المصدر نفسه– ج1 ص: 41.

ومفاد هذا المقصد: أن القرآن الكريم نزل على ما يوافق عادات العرب وبيئتهم وما عهدوه، على أنه لم يتوقف عند ذلك، بل فتح باب معرفة مختلف العلوم لفهمه والتي من شأنها أن تخدم المقاصد القرآنية.

إن ابن عاشور بهذا الطرح: «يريد أن يهيئ القارئ لتفسيره لتقبل ما يجده فيه من التفاصيل العلمية، حيث إن قارئه يلحظ نصوصا من التاريخ وعلم الفلك وعلم الكلام وأصول الفقه، ورقائق الزهد وإشارات المتصوفة وهلم جرا... وكل ذلك مما يخدم النص القرآني ومقاصده، في إصلاح المجتمعات في شتى أحوالها وشؤونها الفكرية، والعقدية، والسلوكية، والاجتماعية...»[1]

ومن هنا، فإن الملاحظ من هذا المقصد أنه يغدو وسيلة هو الآخر لتحقيق مقاصد قرآنية كبرى.

بحيث يوظفه المفسر لكلام الله مادام يخدم المحاور التي جاء بها القرآن. مثال ذلك ما ذكره ابن عاشور في المقدمة الرابعة من تفسيره، حيث قال: «...قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[2]، فإن القصد منه الاعتبار بالحالة المشاهدة فلو زاد المفسر ففصل تلك الحالة وبين أسرارها وعللها بما هو مبين في علم الهيأة كان قد زاد المقصد – تقرير عظمة الله وقدرته– خدمة»[3]

وسيأتي التمثيل لهذا المقصد وتوظيف ابن عاشور له في تفسيره ، في الفصل الثاني من البحث.

[1] محمد النذير أوسالم– الاختيارات العلمية للعلامة الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير– ص:113.

[2] سورة ق– الآية: 06.

[3] ابن عاشور– التحرير والتنوير– ج1 ص: 43.

السابع: « المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب ».[1]

يجمع هذا المقصد كله كما ذكر ابن عاشور باب الترغيب والترهيب، وهذا مقصد جزئي [2] لتحقيق مقاصد كلية، كتهذيب الأخلاق وتزكية الأنفس. تقول هيا ثامر مفتاح: « إن الغاية من الوعظ والإرشاد هي تحقيق تنمية روحية للمؤمن بنقله من حالة الغفلة إلى حالة الذكرى، أو بترقيته إلى مدارج الإيمان تذكرة وتربية...»[3]

الثامن: «الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه ومتحدى لأجله بمعناه والتحدي وقع فيه:﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾[4]...».[5]

أصل ابن عاشور لمقصد قرآني مهم هو الإعجاز؛ حيث جعله دليلا يستدل به على صحة النبوة، فمن هذه الحيثية يعتبر الإعجاز وسيلة لغاية إثبات نبوة النبي ﷺ، وهو في الوقت ذاته معجزة الرسالة نفسها فهو وسيلة ومقصد.

---

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 1 ص: 41.

[2] نشوان عبده خالد قائد- التميز المنهجي في عرض المقاصد القرآنية عند الطاهر ابن عاشور في تفسيره- كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية- قسم دراسات القرآن الكريم والسنة النبوية –، الجامعة الإسلامية العالمية- بماليزيا- ص: 41. ينظر الموقع: http://wefaqdev.net/researchers446.html بتاريخ: 2016/05/28

[3] هيا ثامر مفتاح- مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ ابن عاشور- ص: 59.

[4] سورة يونس- الآية: 38.

[5] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1 ص: 41.

ومعلوم أن المعجزة ينبغي أن تكون من جنس ما نبغ فيه القوم الذين ظهرت فيهم، والعرب كانوا مشهورين بالفصاحة والبيان، فكانت معجزة الرسول ﷺ هي القرآن الذي بلغ الغاية القصوى في الفصاحة والبيان.[1]

وقد أفرد ابن عاشور لهذا المقصد المقدمة العاشرة من مقدمات تفسيره حيث تكلم بالتفصيل عنه.

ومما ذكره عن مقصد الإعجاز قوله: «...وخلاصة القول فيه أن رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام بنيت على معجزة القرآن وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات وأحوال ومع ناس خاصة ونقل بعضها متواترا وبعضها نقل نقلا خاصا، فأما القرآن فهو معجزة عامة، ولزوم الحجة به باق من أول ورودها إلى يوم القيامة...»[2]

هذه هي المقاصد الأصلية الثمانية التي انتهى إليها استقراء ابن عاشور-رحمه الله-. وهي تندرج ضمن المقاصد "الخاصة"[3]، ومنبثقة ضرورة من المقصد الأعلى الجامع الذي ذكره.[4]

يقول ابن عاشور بعد عرضه لهذه المقاصد: « فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلا وتفريعا...»[5]

ومن ثم، فقد وضع ابن عاشور بهذا يد كل مفسر على هذه المقاصد والمحاور التي ذكرها وبينها وجعل غرض

[1] ينظر: ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1 ص: 104. وينظر: فضل حسن عباس- إتقان البرهان في علوم القرآن- دار الفرقان- الأردن- ط1/ 1997م- ج1 ص: 109.

[2] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1 ص: 102.

[3] عبد الكريم حامدي- مقاصد القرآن من تشريع الأحكام- ص: 44.

[4] سامر رشواني- الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور- ص:89.

[5] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1 ص: 41.

كل مفسر هو أن يبين مقاصد القرآن.

3. ملاحظات على تقسيم ابن عاشور:

مما يلاحظ من هذا التقسيم لمقاصد القرآن عند ابن عاشور أمور:

1. أنه تقسيم منهجي- على الجملة- ومقصود من ابن عاشور، يُترجم عن نظر ثاقب ومتأمل لكتاب الله تعالى. ومن أدلة ذلك:

- أنه يؤصل في مواضع متفرقة من كتبه لهذه المقاصد؛ فعن المقصد الأعلى المتمثل في: صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية، نجده يقول في كتابه" أصول النظام الاجتماعي في الإسلام": « المجتمع البشري أو الأمة عبارة عن مجموعة من الناس هي كل ملتئم من أجزاء هي الأفراد، فإذا صلحت حصل من مجموعتها الصالحة مجتمع يسوده الصلاح».[1] فهذا يدلنا على مقصدي الصلاح الفردي والجماعي الذين ذكرهما. ويقول في موضع آخر: « أنبأنا قول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[2] أنه مسوق مساق الاستفهام للتعجب والتحير بأنهم علموا أن مراد الله من خلق الأرض إنما هو عمرانها وصلاحها».[3] فهذا يدل على مقصد الصلاح العمراني.

وعن المقاصد الأصلية مثلا نجده يقول في "كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية": « ابتدأ الإسلام الدعوة بإصلاح الاعتقاد ... ثم عالج الإنسان بتزكية نفسه وتصفية باطنه ... ثم عالج بعد ذلك

[1] ابن عاشور- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام- ص: 39

[2] سورة البقرة- الآية: 30.

[3] ابن عاشور- المرجع السابق- ص: 38.

إصلاح العمل بوضع التشريعات كلها...»[1] فهذا الكلام يرشد إلى المقاصد الأصلية الثلاثة الأولى التي ذكرها وهي: إصلاح الاعتقاد، وتهذيب الأخلاق، والتشريع.

2.جعل ابن عاشور المحور الأساس الذي تدور عليه مقاصد القرآن كلها هو : الصلاح. وهذا له ما يبرره من جهتين:

-الأولى: أنه نص في غير موضع على أن الصلاح مراد الله. فمن ذلك قوله: « مراد الله في الأديان كلها منذ النشأة إلى ختم الرسالة واحد، وهو حفظ نظام العالم وصلاح أحوال أهله. فالصلاح مراد الله».[2]

-الثانية: أن ذلك يرجع إلى تأثره بالمدرسة الإصلاحية.[3] إذ يلاحظ على المقاصد التي أصلها ابن عاشور، وجود مسحة من المقاصد التي ذكرها رشيد رضا- كما عرضت في المبحث الأول من هذا الفصل-[4].

3.انتهى استقراء ابن عاشور إلى أن المقاصد التي جاء القرآن لبيانها ثمانية. ولكنه استدرك مقصدين آخرين في ثنايا تفسيره لسورة آل عمران. حيث قال:« على أن من مقاصد القرآن أمرين آخرين:

أحدهما: كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين، حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين. وثانيهما: تعويد حملة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب، والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة- في كل زمان- لفهم

[1] ابن عاشور- مقاصد الشريعة الإسلامية- ص: 70.

[2] ابن عاشور- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام- ص: 8

[3] ينظر: الفصل التمهيدي-ص: 14- 15.

[4] ينظر: المبحث الأول من هذا الفصل- ص: 36- 37

تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية، ولو صيغ لهم التشريع في أسلوب سهل التناول لاعتادوا العكوف على ما بين أنظارهم في المطالعة الواحدة. من أجل هذا كانت صلوحية عباراته لاختلاف منازع المجتهدين، قائمة مقام تلاحق المؤلفين في تدوين كتب العلوم، تبعا لاختلاف مراتب العصور».[1]

4.أبرز ما يميز ابن عاشور اهتمامه البالغ بعلم المقاصد إلى جانب اهتمامه بعلم التفسير، ويعد من أهم الذي لفتوا الأنظار إلى مقاصد القرآن الكريم ومقاصد الشريعة، من خلال تأليفه لتفسيره " التحرير والتنوير" و من خلال تأليفه لكتابه "مقاصد الشريعة" وكتابه "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام" وكتاب" أليس الصبح بقريب".[2]

5.من المقاصد التي ذكرها ابن عاشور ما هو من قبيل الوسائل لتحقيق مقاصد أخرى. كالقصص، والتعليم، والترغيب والترهيب، والإعجاز. فهذه وسائل لتحقيق المقاصد الأصلية، كإصلاح الاعتقاد، وتهذيب الأخلاق، وسياسة الأمة...[3]

وقد سبق التنبيه أثناء بيان كل مقصد على كون بعضها وسائل لتحقيق مقاصد أخرى.

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 3 ص: 158

[2] نشوان عبده خالد قائد- التميز المنهجي في عرض المقاصد القرآنية عند الطاهر ابن عاشور في تفسيره- ص: 54- 55.

[3] عبد الكريم حامدي- مقاصد القرآن من تشريع الأحكام- ص: 45.

المطلب الثاني: آليات تحصيل مقاصد القرآن عند ابن عاشور:

بعد دراسة مقاصد القرآن التي فصلها ابن عاشور، يجدر ذكر الآليات التي تساهم في تجلية هذه المقاصد. وكان من أبرزها ما نص عليه ابن عاشور بعد بيانه للمقاصد الأصلية بأن طريق تحصيلها هو الاستقراء. وهذا إلى جانب اللغة وظواهر القرآن اللذين لا يقلان أهمية عنه.

1.الاستقراء:

بين ابن عاشور بعد ذكره للمقاصد الأصلية الثمانية التي جاء القرآن لأجلها أن طريق حصرها: الاستقراء، فقال: «...هذا ما بلغ إليه استقرائي ».[1] وفيما يلي بيان لحقيقته ودوره عند ابن عاشور في تقرير كثير من المسائل :

أ-الاستقراء لغة واصطلاحا:

– لغة: جاء في لسان العرب: « وقرأت الشيء قرآنا جمعته وضممت بعضه إلى بعض».[2]

وتأتي بمعنى التتبع.كما جاء في القاموس المحيط: « والقرو: القصد والتتبع، كالاقتراء والاستقراء...[3]

وبالتالي، ترجع كلمة الاستقراء في معانيها اللغوية إلى : الجمع والضم والتتبع.

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج1 ص: 41

[2] ابن منظور- لسان العرب- ج 1 ص: 128.

[3] الفيروزآبادي مجد الدين – القاموس المحيط- ت: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة إشراف: محمد نعيم العرقسوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان- ط8/ 1426هـ- 2005م- ص: 1324.

-اصطلاحا:

من تعريفات الاستقراء اصطلاحا، ما ذكره الغزالي في المستصفى حيث قال:

« الاستقراء هو عبارة عن تصفح أمور جزئية لنحكم بحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات ».[1]

وعرف الطاهر ابن عاشور الاستقراء بأنه: « تتبع الجزئيات لإثبات حكم كلي، وإنما اعتبر دليلا لأن الكلية لم تكن ثابتة ولا دليل عليها إلا تتبع الجزئيات، ولأنها بعد ثبوتها يستدل بها على أحكام جزئيات مجهولة، مثل أن تقول: الوتر سنة لا فرض، لأن النبي ﷺ صلاّه على الراحلة، والفرض لا يؤدى على الراحلة أخذا من استقراء أسفار النبي ﷺ والسلف رضي الله عنهم».[2]

ب-أهمية الاستقراء عند ابن عاشور:

كان للاستقراء عند ابن عاشور الأثر البالغ في توجهه المقاصدي، حيث توصل إلى بيان كثير من المسائل بناء عليه. يقول الحسني: « يمثل الاستقراء أحد الأدوات الإجرائية التي انبنى عليها تفكير ابن عاشور في المقاصد... حيث يعد من أكثر الناس احتفاء به وتوظيفا له في كثير من المجالات ».[3]

فمن أمثلة إعمال ابن عاشور للاستقراء في تفسيره:

[1] الغزالي- المستصفى- ص: 41.

[2] ابن عاشور- حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات التنقيح- مطبعة النهضة- تونس- ط1/ 1341هـ- ج 2 ص: 224.

[3] إسماعيل الحسني- نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فرجينيا- ط1/ 1416هـ- 1995م- ص: 357. وينظر: نشوان عبده خالد قائد- دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند ابن عاشور- مجلة جامعة المدينة العالمية- كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية- الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا- العدد الرابع- سبتمبر2012 – ص: 24.

-حصره لمراتب المتشابه في القرآن، حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[1] : «... فإذا علمت هذا علمت أصل السبب في وجود ما يسمى بالمتشابه في القرآن. وبقي أن نذكر لك مراتب التشابه وتفاوت أسبابها. وأنها فيما انتهى إليه استقراؤنا الآن عشر مراتب... »[2]

-استقراؤه لمواقع التزيين المذموم. حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[3] : «وقد استقريت مواقع التزيين المذموم فحصرتها في ثلاثة أنواع...»[4]

فهذان مثالان يدلان على توظيف ابن عاشور للاستقراء.

ولم يكتف بإعماله في التفسير فحسب. بل في مواضع مختلفة من كتبه.

فمن ذلك: استقراؤه لنواحي إصلاح التفكير الواردة في القرآن الكريم في ثمانية نواح... وذلك في كتابه "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"[5]

[1] سورة آل عمران- الآية: 08.

[2] ينظر: ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 3 ص : 158.

[3] سورة البقرة- الآية : 212.

[4] ينظر: ابن عاشور- المصدر السابق: ج 2 ص: 295.

[5] ينظر: ابن عاشور- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام- ص: 49

ومن ذلك: قوله في كتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية": « إذا نحن استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع استبان من كليات دلائلها ومن جزئياتها المستقرأة أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه...»[1]

ففي هذا الكلام توضيح من ابن عاشور للمقصد العام من التشريع بناء على الاستقراء.

2.ظواهر القرآن الكريم:

وهذه آلية أخرى من آليات تجلية مقاصد القرآن عند ابن عاشور في تفسيره، وهي ما دل عليه ظاهر النص القرآني من أنه قد حوى على مقصد شرعي. وقد تكلم ابن عاشور عن هذه الوسيلة في كتابه"مقاصد الشريعة الإسلامية" في الطريق الثاني من طرق إثبات المقاصد الشرعية حيث يقول: « أدلة القرآن الواضحة الدلالة التي يضعف احتمال أن يكون المراد منها غير ما هو ظاهرها بحسب الاستعمال العربي؛ بحيث لا يشك في المراد منها إلا من شاء أن يدخل على نفسه شكا لا يعتد به، ألا ترى أنا نجزم بأن معنى ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[2] أن الله أوجبه. ولو قال أحد: إن ظاهر هذا اللفظ أن الصيام مكتوب في الورق، لجاء خطأً من القول... ومثل ما يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[3] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[4] ... وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا

[1] ابن عاشور- مقاصد الشريعة الإسلامية- ص : 68.
[2] سورة البقرة- الآية: 183.
[3] سورة البقرة- الآية: 205.
[4] سورة النساء- الآية: 29.

﴿يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[1] وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[2]؛ ففي كل آية من هذه الآيات تصريح بمقصد شرعي أو تنبيه على مقصد ».[3]

وقد تكلم ابن عاشور في المقدمة الرابعة عن طرائق المفسرين في تفاسيرهم من حيث الاعتماد على مقاصد القرآن فجعل أول طريق هو: «الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب مع بيانه وإيضاحه وهذا هو الأصل».[4]

و قد بين ابن عاشور مقاصد قرآنية دلت عليها ظاهر الآيات. فنص عليها صراحة.

3.اللغة:

لا يخفى ما للغة من دور كبير في بيان المقاصد التي نزل القرآن لأجلها، حيث أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى وفق ما عهدوه من طرائق وأساليب. : **قَالَ تَعَالَى:** ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾[5] ، ويعتبر ابن عاشور من أكثر المفسرين احتفاء باللغة العربية وتأكيدا على ضرورة العلم بها، بل ومن أكثرهم توظيفا لها في تفسيره. حيث يتحدث في المقدمة الرابعة التي خصصها لبيان مقاصد القرآن، عن سر اختيار اللسان العربي

[1] سورة البقرة- الآية: 185.
[2] سورة الحج- الآية: 78.
[3] ابن عاشور- مقاصد الشريعة الإسلامية- ص: 21.
[4] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 1 ص: 42.
[5] سورة الشعراء- الآية: 195.

ليكون مظهرا لوحيه ومستودعا لمراده. فبين أن الحكمة من ذلك: كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشارا، وأكثرها تحملا للمعاني مع إيجاز لفظه...[1]

ونجده أيضا يتكلم عن العلاقة الوثيقة بين معرفة مقاصد القرآن وبين طريقته في إطلاق الألفاظ ، يقول: « فلا جرم أن كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله، ويعرف اصطلاحه في إطلاق الألفاظ، وللتنزيل اصطلاح وعادات...».[2] وهذا الأمر تكلم عليه ابن عاشور في تفسيره. فعلى سبيل المثال يقول عند قوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[3] « وقد غلب البعث في اصطلاح القرآن على إحضار الناس إلى الحساب بعد الموت».[4]

ومن الآليات التي وظفها ابن عاشور بكثرة، معهود العرب ومعرفة أخبارهم وأساليبهم وطرائقهم في الكلام. وجعل معرفتها من استمداد علم التفسير. يقول:« أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم... إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم...» .[5]

ويقول في موضع آخر عن أخبار العرب: « وأما أخبار العرب فهي من جملة أدبهم وإنما خصصتها بالذكر تنبيها لمن يتوهم أن الاشتغال بها من اللغو فهي يستعان بها على فهم ما أوجزه القرآن في سوقها لأن

[1] ينظر ابن عاشور – التحرير والتنوير- ج1 ص: 39.
[2] المصدر نفسه- ج 1 ص: 41- 42.
[3] سورة النحل- الآية: 21.
[4] ابن عاشور- المصدر السابق- ج 14-ص: 127.
[5] المصدر نفسه- ج 1 ص: 18.

القرآن إنما يذكر القصص والأخبار للموعظة والاعتبار، لا لأن يتحادث بها الناس في الأسمار، فبمعرفة الأخبار يعرف ما أشارت له الآيات من دقائق المعاني...» .[1]

فهذه أهم الآليات التي وظفها ابن عاشور في استخراج مقاصد القرآن. إذ أنه صرح بها في مقدمات التفسير. كما أنها ملازمة لتفسيره كما يلاحظ.

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 1 ص: 25.

الفصل الثاني: توظيف مقاصد القرآن في تفسير "التحرير والتنوير"

خلص البحث في الفصل الأول إلى إبراز الجانب التأصيلي لمقاصد القرآن والحديث عن منهج بيان ابن عاشور لها ،ولم يكتف- رحمه الله- بالتنظير لمقاصد القرآن الكريم، وإنما وظفها في تفسيره واستثمرها في تجلية المعاني والكشف عن المراد من كلام ربنا سبحانه، وفي هذا الفصل إيراد لبعض النماذج من تفسير "التحرير والتنوير"، وبيان لتأثيرها فيه.

ويتجلى ذلك في مبحثين:

المبحث الأول: مظاهر إعمال مقاصد القرآن في"التحرير والتنوير"

المبحث الثاني: نماذج لتأثير مقاصد القرآن في "التحرير والتنوير"

المبحث الأول: مظاهر إعمال مقاصد القرآن في "التحرير والتنوير":

إن التوجه المقاصدي باد بشكل كبير في تفسير التحرير والتنوير، حيث إن ابن عاشور لم يترك سورة من سور القرآن إلا وبين ما فيها من مقاصد وأغراض، بل وأعمل المقاصد القرآنية سواء المقصد الأعلى أو المقاصد الأصلية التي أصلها في تفسيره، وتجلى هذا في ناحيتين: الأولى: التصريح بالمقصد القرآني. والثانية: عدم التصريح به مع إعماله وتوظيفه له في تفسيره.

وهو ما يمكن بيانه على النحو التالي:

المطلب الأول: إعمال المقاصد المصرح بها عند ابن عاشور:

من المقاصد التي صرح بها ابن عاشور في تفسيره؛ ذكره لأغراض السور ومقاصدها. فتارة يسميها أغراضا، وتارة يسميها مقاصد، وتارة يقول: هذه السورة تضمنت كذا وكذا. إلى غير ذلك مما يورده. فلا مشاحة إذن أن يقول مقاصد السور أو أغراضها.[1]

فمن أمثلة ذلك؛ ما ذكره في مطلع تفسيره لسورة الأعراف حيث قال:

[1] ينظر: محمد بن إبراهيم الحمد- أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير- دار ابن خزيمة- السعودية- ط1 / 1428هـ- 2009م- ص: 5.

أغراضها: افتتحت هذه السورة بالتنويه بالقرآن والوعد بتيسيره على النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغه وكان افتتاحها كلاما جامعا وهو مناسب لما اشتملت عليه السورة من المقاصد فهو افتتاح وارد على أحسن وجوه البيان وأكملها شأن سور القرآن.

وتدور مقاصد هذه السورة على محور مقاصد منها:

- النهي عن اتخاذ الشركاء من دون الله.
- وإنذار المشركين عن سوء عاقبة الشرك في الدنيا والآخرة.
- ووصف ما حل بالمشركين والذين كذبوا الرسل: من سوء العذاب في الدنيا، وما سيحل بهم في الآخرة.
- تذكير الناس بنعمة خلق الأرض، وتمكين النوع الإنساني من خيرات الأرض، وبنعمة الله على هذا النوع بخلق أصله وتفضيله.
- وما نشأ من عداوة جنس الشيطان لنوع الإنسان.
- وتحذير الناس من التلبس ببقايا مكر الشيطان من تسويله إياهم حرمان أنفسهم الطيبات، ومن الوقوع فيما يزج بهم في العذاب في الآخرة.
- ووصف أهوال يوم الجزاء للمجرمين وكراماته للمتقين.
- والتذكير بالبعث وتقريب دليله.
- والنهي عن الفساد في الأرض التي أصلحها الله لفائدة الإنسان.[1]

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- القسم الثاني من الجزء8- ص: 7- 8

- والتذكير ببديع ما أوجده الله لإصلاحها وإحيائها.

- والتذكير بما أودع الله في فطرة الإنسان من وقت تكوين أصله أن يقبلوا دعوة رسل الله إلى التقوى والإصلاح.

-وأفاض في أحوال الرسل مع أقوامهم المشركين، وما لاقوه من عنادهم وأذاهم، وأنذر بعدم الاغترار بإمهال الله الناس قبل أن ينزل بهم العذاب، إعذارا لهم أن يقلعوا عن كفرهم وعنادهم، فإن العذاب يأتيهم بغتة بعد ذلك الإمهال.[1]

فهذا نموذج عن ذكر ابن عاشور لمقاصد السور. وما بينه من أغراض اشتملت عليها سورة الأعراف يندرج اندراجا واضحا تحت جملة من مقاصد القرآن التي أصلها. ففي هذه السورة – من خلال ما ذكر- مقاصد قرآنية كثيرة: كإصلاح الاعتقاد، والقصص، وأخبار الأمم السابقة، والوعد والوعيد، ودعوتها إلى الإصلاح وعدم الإفساد... وغير ذلك من المقاصد.

أما عن المقاصد الأصلية التي استقرأها ابن عاشور فنورد أمثلة تبرز إعمال ابن عاشور لها في تفسيره لآيات القرآن:

-مقصد إصلاح الاعتقاد:

يظهر هذا بجلاء عند تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[2] حيث يبين أن أسس الدين تجلت في مظاهر أولها: « إصلاح العقيدة بحمل الذهن على اعتقاد لا يشوبه تردد ولا تمويه

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- القسم الثاني من الجزء 8- ص: 8.

[2] سورة آل عمران- الآية: 19.

ولا أوهام ولا خرافات، ثم بكون عقيدته مبنية على الخضوع لواحد عظيم... وكان إصلاح الاعتقاد أهم ما ابتدأ به الإسلام، وأكثر ما تعرض له وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح ولأنه لا يرجى صلاح لقوم تلطخت عقولهم بالعقائد الضالة، وخسئت نفوسهم بآثار تلك العقائد المثيرة: خوفا من لا شيء، وطمعا في غير شيء، وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي لأن المرء إنسان بروحه لا بجسمه».[1]

من خلال هذا المثال؛ يتضح توظيف ابن عاشور لمقصد إصلاح الاعتقاد في تفسيره لهذه الآية، وتصريحه بأن هذا المحور هو أول ما جاء به القرآن، وهو المنطلق والأساس لتحقيق غاية التنزيل الحكيم المتمثلة في الصلاح الفردي والجماعي والعمراني بناء على أن إصلاح الفكرة هو المبدأ، من خلال تطهير العقول من الأوهام والعقائد الفاسدة وتعليمها العقد الصحيح الذي دعا إليه القرآن الكريم.

-مقصد تهذيب الأخلاق:

قد سبق بيان ابن عاشور لهذا المقصد في الجانب التأصيلي من هذا البحث، حيث استدل عليه بقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] وبحديث عائشة لما سئلت عن خلقه ﷺ فقالت:" كان خلقه القرآن"[3]. وهذا المعنى يوضحه ابن عاشور بجلاء في تفسيره لسورة القلم عند الآية التي ذكرت آنفا فيقول: « والخلق العظيم: هو الخلق الأكرم في نوع الأخلاق وهو البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان لاجتماع مكارم الأخلاق في النبي ﷺ فهو حسن معاملته الناس على اختلاف الأحوال المقتضية لحسن المعاملة، فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن... واعلم أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج3 ص: 194.
[2] سورة القلم- الآية: 4
[3] سبق تخريجه.ص: 47.

الحسن هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجمود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة. والأخلاق كامنة في النفس ومظاهرها تصرفات صاحبها في كلامه، وطلاقة وجهه، وثباته، وحكمه، وحركته وسكونه، وطعامه وشرابه، وتأديب أهله ومن لنظره، وما يترتب على ذلك من حرمته عند الناس، وحسن الثناء عليه والسمعة».[1]

فقد وضح ابن عاشور من خلال هذا التفسير مقصد القرآن في الدعوة إلى تهذيب الأخلاق والتحلي بمكارمها وقد عرض مظاهر هذه المكارم التي دعا إليها القرآن الكريم.

وقد ذكرنا أن القرآن نزل في بيئة عربية، اتسمت بأخلاق؛ فجاء بقصد تهذيبها وتعزيزها وإبطال الفاسد منها. وهذا الأمر بينه ابن عاشور في تفسيره. من ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[2] حيث يتكلم عن دعوة القرآن إلى خُلق الإحسان بذي القربى مبينا أن سبب ذلك هو إبطال ما كان عند العرب من الإساءة إلى الأقربين. يقول: « وذو القربى صاحب القرابة، والقربى فعلى، اسم للقرب مصدر قرب كالرجعى، والمراد بها قرابة النسب، كما هو الغالب في هذا المركب الإضافي: وهو قولهم: ذو القربى، وإنما أمر بالإحسان إليه استبقاء لأواصر الود بين الأقارب، إذ كان

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 29- ص: 64- 65.

[2] سورة النساء- الآية: 36.

العرب في الجاهلية قد حرفوا حقوق القرابة فجعلوها سبب تنافس وتحاسد وتقاتل. وأقوالهم في ذلك كثيرة في شعرهم... وحسبك ما كان بين بكر وتغلب في حرب البسوس، وهما أقارب وأصهار، وقد كان المسلمون يومها عربا قريبي عهد بالجاهلية فلذلك حثهم على الإحسان إلى القرابة . وكانوا يحسنون بالجار، فإذا كان من قرابتهم لم يكترثوا بالإحسان إليه، وأكد ذلك بإعادة حرف الجر بعد العاطف».[1]

فهذا توضيح من ابن عاشور لمقصد تهذيب الأخلاق؛ إذ العرب كان معروف عندهم القرابة، ولكن حرفت حقوقها فانحرفت بذلك سلوكياتهم إذ تحولت إلى عداوات وتحاسد. فجاء القرآن فدعا إلى الإحسان والتخلق بالأخلاق التي تستبقي أواصر الود بين الأقارب.

ويـزيد ابن عاشور بيان سبب دعوة القرآن إلى الإحسان إلى الجار فيؤكد أن ذلك راجع إلى كون هذا الخلق كان متنشرا عند العرب فجاء الإسلام بقصد التأكيد عليه. فيقول: «... والعرب معروفون بحفظ الجوار والإحسان إلى الجار، وأقوالهم في ذلك كثيرة، فأُكد ذلك في الإسلام لأنه من محامد العرب التي جاء الإسلام لتكميلها من مكارم الأخلاق، ومن ذلك الإحسان إلى الجار».[2]

و من الأمثلة التي نص فيها ابن عاشور على أن تهذيب الأخلاق مقصد دعا إليه القرآن ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[3] حيث قال: « وقد جمعت هذه الآية مكارم الأخلاق لأن فضائل الأخلاق لا تعدو أن تكون عفوا عن اعتداء فتدخل في "خذ

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 5 ص: 49.
[2] المصدر نفسه- ج 5 ص: 50.
[3] سورة الأعراف- الآية: 199.

العفو"، أو إغضاء عما لا يلائم فتدخل في "وأعرض عن الجاهلين"، أو فعل خير واتساما بفضيلة فتدخل في "وأمر بالعرف" ».[1]

-مقصد التشريع:

وهو الأحكام كما ذكر ابن عاشور في بيانه له. ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا...﴾[2] حيث يقول:

« وكان ما ذكر في هذه الآيات خمسة عشر تشريعا هي أصول التشريع الراجع إلى نظام المجتمع... »[3] وسورة الإسراء مكية.[4] فلا ريب كان ما ذكر في هذه الآيات إنما هو من كليات التشريع وهذا ما قصده ابن عاشور حيث صرح بأن الآيات تضمنت أصول التشريع.

ثم إن ابن عاشور كثيرا ما يذكر حكمة التشريع ومقاصده. يقول في هذا: « وجملة القول: أن لنا اليقين بأن أحكام الشريعة كلها مشتملة على مقاصد الشارع، وهي حكم ومصالح ومنافع، ولذلك كان الواجب على علمائها تعرّف علل التشريع ومقاصده ظاهرها وخفيها...»[5]

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 9 ص: 229

[2] سورة الإسراء- الآية: 23- 35.

[3] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 15- ص: 66.

[4] المصدر نفسه- ج 15 ص: 6.

[5] ابن عاشور- مقاصد الشريعة الإسلامية- ص: 51.

فعلى سبيل المثال: يوضح ابن عاشور حكمة مشروعية التيمم وجعله بدلا عن الطهارة بالماء. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[1]

فيقول: « والتيمم بدل جعله الشرع عن الطهارة، ولم أر لأحد من العلماء بيانا في حكمة جعل التيمم عوضا عن الطهارة بالماء وكان ذلك من همي زمنا طويلا وقت الطلب ثم انفتح لي حكمة ذلك. وأحسب أن حكمة تشريعه تقرير لزوم الطهارة في نفوس المؤمنين، وتقرير حرمة الصلاة، وترفيع شأنها في نفوسهم، فلم تترك لهم حالة يعدون فيها أنفسهم مصلين بدون طهارة تعظيما لمناجاة الله تعالى، فلذلك شرع لهم عملا يشبه الإيماء إلى الطهارة ليستشعروا أنفسهم متطهرين، وجعل ذلك بمباشرة اليدين صعيد الأرض التي هي منبع الماء... هذا منتهى ما عرض لي من حكمة مشروعية التيمم بعد طول البحث والتأمل في حكمة مقنعة في النظر...»[2]

ففي هذا المثال بيان لحكمة مشروعية التيمم، ويرى ابن عاشور أنه من أول من ذكرها. وما ذلك إلا للتوجه المقاصدي الذي بدت ثمرته في تفسيره كما في هذا المثال.

[1] سورة النساء- الآية: 43.

[2] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 5 ص: 68- 69.

-مقصد سياسة الأمة:

يقول ابن عاشور عند تفسيره لقو له تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1]: « وقد جمع له في وصيته ملاك السياسة بقوله: وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين. فإن سياسة الأمة تدور حول محور الإصلاح، وهو جعل الشيء صالحا، فجميع تصرفات الأمة وأحوالها يجب أن تكون صالحة، وذلك بأن تكون الأعمال عائدة الخير والصلاح لفاعلها ولغيره، فإن عادت بالصلاح عليه وبضده على غيره لم تعتبر صلاحا، ولا تلبث أن تؤول فسادا على من لاحت عنده صلاحا، ثم إذا تردد فعل بين كونه خيرا من جهة وشرا من جهة أخرى وجب اعتبار أقوى حالتيه فاعتبر بها إن تعذر العدول عنه إلى غيره مما هو أوفر صلاحا، وإن استوى جهتاه ألغي إن أمكن إلغاؤه وإلا تخير، وهذا أمر لهارون جامع لما يتعين عليه عمله من أعماله في سياسة الأمة ».[2]

فهذا توظيف من ابن عاشور لهذا المقصد في تفسيره لوصية موسى عليه السلام لأخيه هارون عليه السلام بأن يخلفه في قومه وأن يصلح ولا يتبع سبيل المفسدين. حيث صرح فيه بأنه وصاه بما فيه سياسة للأمة وحفظ لنظامها.

[1] سورة الأعراف- الآية: 142.

[2] ابن عاشور- التحرير والتنوير ج9 ص: 87- 88.

-مقصد القصص:

وهذا المقصد يأتي لغرض أخذ العبرة والتأسي بصالح أحوال من سبقوا والتحذير من مساويهم. وقد تكلم ابن عاشور عن هذا المقصد لما فسر قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1] حيث بين بأن القرآن انتقل للحديث عن قصص من سبقوا وذكر أخبارهم وما كان منهم. لغرض الاعتبار والموعظة مما حل بهم.[2]

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾[3]

يقول: « وقد أشارت الآية إلى قصة نفر من صالحي الأمم السالفة ثبتوا على دين الحق في وقت شيوع الكفر والباطل فانزووا إلى الخلوة تجنبا لمخالطة أهل الكفر فأووا إلى كهف استقروا فيه فرارا من الفتنة في دينهم...».[4] وبين ابن عاشور أن الغرض من هذه القصة: « لفت عقول السائلين عن الاشتغال بعجائب القصص إلى أن الأولى لهم الاتعاظ بما فيها من العبر والأسباب وآثارها».[5]

من خلال هذين المثالين تتبين الغاية من القصص القرآني عند ابن عاشور. وهي الاعتبار والاتعاظ. وتأتي كذلك لتحقيق مقاصد كلية كإصلاح العقيدة وذلك من خلال بيان ما حل بمن انحرفت عقائدهم وما أصابهم من العذاب. كما في مثال قصة سيدنا نوح عليه السلام.

---

[1] سورة الأعراف- الآية: 59.

[2] ابن عاشور- المصدر السابق- القسم الثاني من الجزء 8- ص: 187.

[3] سورة الكهف- الآية: 09.

[4] ابن عاشور- التحرير والتنوير - ج 15 ص: 261.

[5] المصدر نفسه- ج 15 ص: 259.

-مقصد المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير:

من الأمثلة التي تكلم فيها ابن عاشور عن هذا المقصد. ما ذكره من أغراض اشتملت عليها سورة الحجر. حيث قال بأن فيها: « إنذار المشركين بندم يندمونه على عدم إسلامهم...وتوبيخهم بأنهم شغلهم عن الهدى انغماسهم في شهواتهم...وإنذارهم بالهلاك عند حلول إبان الوعيد الذي عينه الله في علمه...ووصف أحوال المتقين، والترغيب في المغفرة، والترهيب من العذاب».[1]

ويرى ابن عاشور أن هناك علاقة بين المواعظ والأحكام. [2] حيث يذكر أن من أبدع أساليب القرآن جمعه بين مقصديه: مقصد الموعظة ومقصد التشريع.[3] وهذا ما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[4] حيث يقول: « ذلكم: الإشارة إلى جميع ما تقدم من الأحكام التي فيها موعظة للمسلمين من قوله: ﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ﴾[5] إلى قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾[6]. والوعظ: التحذير مما يضر والتذكير الملين للقلوب..».[7]

فهذا مثال يبرز أسلوب القرآن في الجمع بين مقصديه : التشريع والمواعظ. كما نبه عليه ابن عاشور.

---

[1] المصدر نفسه -ج 14 ص: 7.

[2] هيا ثامر مفتاح- مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ ابن عاشور- ص: 59.

[3] ينظر: ابن عاشور- المصدر السابق- ج1 ص: 115.

[4] سورة الطلاق- الآية: 02.

[5] سورة الطلاق: الآية: 01.

[6] سورة الطلاق: الآية: 02.

[7] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 28 ص: 311.

-مقصد الإعجاز:

تكلم ابن عاشور عن هذا المقصد في تفسيره . ومثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى:﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] .

يقول:«...أما إدراك العرب معجزة القرآن فظاهر من هذه الآية وأمثالها فإنهم كذبوا النبي ﷺ وناوءوه وأعرضوا عن متابعته فحاجهم على إثبات صدقه بكلام أوحاه الله إليه، وجعل دليل أنه من عند الله عجزهم عن معارضته فإنه مركب من حروف لغتهم ومن كلماتها وعلى أساليب تراكيبها...»[2]

فهذا تصريح من ابن عاشور بمقصد الإعجاز ليكون دليلا على صدق النبوة. وفي الوقت ذاته ليثبت عجز العرب عن الإتيان بمثله أنه ليس كلام بشر بل هو من عند الله تعالى.

[1] سورة البقرة- الآية: 23.

[2] ابن عاشور- المصدر السابق- ج1 ص: 346.

المطلب الثاني: إعمال المقاصد غير المصرح بها في تفسير ابن عاشور:

استثمر ابن عاشور مقاصد القرآن الكريم التي بينها في تفسير الآيات القرآنية. معملا في ذلك آليات تجلية المقاصد كاللغة ومراعاة معهود العرب. إلى جانب ذكر الحكم من وراء النصوص القرآنية مما له تعلق بمقاصد قرآنية أصلها في مقدمته الرابعة.

-مقصد التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين:

أعمل ابن عاشور هذا المقصد في تفسيره. ومثال ذلك عند تعرضه لتفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

حيث انطلق من أن الآية جاءت في سياق ما عهده العرب وما كان معروفا لديهم. يقول: « وهذا واقع موقع الامتنان فكان مقتصرا على ما ينتفع به المخاطبون الأولون في عادتهم».[2]

وقد سبق بيان المراد من هذا المقصد؛ حيث إن القرآن نزل على وفق ما عهدته العرب لكن لم يتوقف عند ذلك بل فتح باب معرفة العلوم التي تساعد على فهم القرآن. وهو ما وظفه ابن عاشور في هذا المثال. إذ يقول في قوله تعالى: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ : « أي هو الآن يخلق ما لا تعلمون أيها الناس مما هو مخلوق لنفعهم وهم لا يشعرون به، فكما خلق لهم الأنعام والكراع خلق لهم ويخلق لهم خلائق أخرى لا يعلمونها الآن، فيدخل في ذلك ما هو غير معهود أو غير معلوم للمخاطبين وهو معلوم عند أمم أخرى

[1] سورة النحل- الآية: 08

[2] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 14 ص: 107.

كالفيل عند الحبشة والهنود، وما هو غير معلوم لأحد ثم يعلمه الناس من بعد مثل دواب الجهات القطبية كالفقمة والدب الأبيض، ودواب القارة الأمريكية التي كانت مجهولة للناس في وقت نزول القرآن».[1]

فبنى ابن عاشور هذا الفهم انطلاقا مما عهدته العرب مما هو مشاهد عندها من الداوب، فخاطبها القرآن بما تعرف. ثم بين أن الله سبحانه يخلق خلائق لا يعلمها من خُوطب ابتداء. انطلاقا من دلالة الفعل المضارع " يخلق" على التجديد. يقول: « فيكون المضارع مستعملا في الحال للتجديد، أي هو خالق ويخلق».[2]

ولم يقف ابن عاشور عند هذا فحسب، وإنما توصل من خلال ما ذكره إلى أن الآية من معجزات القرآن الغيبية العلمية. يقول: « فالذي يظهر لي أن هذه الآية من معجزات القرآن الغيبية العلمية، وأنها إيماء إلى أن الله سيلهم البشر اختراع مراكب هي أجدى عليهم من الخيل والبغال والحمير، وتلك العجلات التي يركبها الواحد ويحركها برجليه وتسمى (بسكلات) ، وأرتال السكك الحديدية، والسيارات المسيرة بمصفى النفط وتسمى (أطوموبيل) ، ثم الطائرات التي تسير بالنفط المصفى في الهواء. فكل هذه مخلوقات نشأت في عصور متتابعة لم يكن يعلمها من كانوا قبل عصر وجود كل منها. وإلهام الله الناس لاختراعها هو ملحق بخلق الله، فالله هو الذي ألهم المخترعين من البشر بما فطرهم عليه من الذكاء والعلم وبما تدرجوا في سلم الحضارة واقتباس بعضهم من بعض إلى اختراعها، فهي بذلك مخلوقة لله تعالى لأن الكل من نعمته».[3]

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 14 ص: 110- 111.
[2] المصدر نفسه- ج 14 ص: 111.
[3] المصدر نفسه- ج 14 ص: 111.

من خلال هذا المثال؛ يتبين إعمال ابن عاشور الدقيق لمقصد التعليم؛ حيث جاءت الآية مناسبة لما هو موجود في عصر المخاطبين ولكن لم تتوقف عندهم بل بين ابن عاشور معنى جديدا بناء على هذا المقصد. و يضاف إليه أن الآية فيها -كما نبه ابن عاشور- مقصد الإعجاز.

فجلى لنا هذا الاستنباط بناء على مقاصد القرآن مستثمرا في ذلك ما دلت عليه اللغة والعلم الحديث ليبرز بالتالي عظمة القرآن وعطاءه المتجدد ووفرة معانيه على وجازة ألفاظه. وبهذا يتحقق مقصد الإعجاز في كل عصر من العصور.

ومن أمثلة إعمال ابن عاشور للمقاصد؛ ما ذكره من سبب تحريم الإسلام للزنا وتشنيعه لهذه الفاحشة القبيحة، مبينا في ذلك دقة الألفاظ القرآنية في وصف عدم القرب منه، والقصد من ذلك. فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[1] « والقرب المنهي عنه هو أقل الملابسة، وهو كناية عن شدة النهي عن ملابسة الزنا... وجملة "إنه كان فاحشة" تعليل للنهي عن ملابسته تعليلا مبالغا فيه من جهات بوصفه بالفاحشة الدال على فعلة بالغة الحد الأقصى في القبح، وبتأكيد ذلك بحرف التوكيد، وبإقحام فعل (كان) المؤذن بأن خبره وصف راسخ مستقر... وأتبع ذلك بفعل الذم وهو "ساء سبيلا"...».[2]

بعد هذا التأصيل اللغوي من ابن عاشور لمفردات هذه الآية، يصل إلى بيان غرض الإسلام والقرآن من عنايتهما بتحريم الزنا معملا مقصد الصلاح الجماعي الذي جاء به القرآن « ليضبط تصرفات الناس

[1] سورة الإسراء- الآية: 32.

[2] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 15 ص: 90.

بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات».[1] فيقول: « وعناية الإسلام بتحريم الزنى لأن فيه إضاعة النسب وتعريض النسل للإهمال إن كان الزنى بغير متزوجة وهو خلل عظيم في المجتمع، ولأن فيه إفساد النساء على أزواجهن والأبكار على أوليائهن، ولأن فيه تعريض المرأة إلى الإهمال بإعراض الناس عن تزوجها، وطلاق زوجها إياها، ولما ينشأ عن الغيرة من الهرج والتقاتل... فالزنى مئنة لإضاعة الأنساب ومظنة للتقاتل والتهارج فكان جديرا بتغليظ التحريم قصدا وتوسلا. ومن تأمل ونظر جزم بما يشتمل عليه الزنى من المفاسد...»[2]

ففي هذا المثال، رعْيٌ من ابن عاشور لمقصد الصلاح الجماعي وإعماله في تفسير هذه الآية؛ إذ القرآن جاء لما فيه صلاح البشر على المستوى الفردي والجماعي، ليضبط تصرفاتهم مع بعضهم البعض حتى لا يستشري الفساد بينهم.

ومن أمثلة توظيف ابن عاشور لمقصدي الصلاح الفردي والجماعي اللذين جاء بهما القرآن. ما ذكره من حكمة مشروعية قطع يد السارق في الإسلام عند تفسيره لقوله تعالى﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3] ؛ حيث انطلق من أن قطع اليد كان في الجاهلية وأقره الإسلام، وبين حكمة الإسلام في القطع. يقول: « وقد كان قطع يد السارق حكما

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير - ج 1 ص: 38.
[2] المصدر نفسه- ج 15 ص: 90- 91.
[3] سورة المائدة- الآية: 38.

من عهد الجاهلية، قضى به الوليد بن المغيرة فأقره الإسلام كما في الآية...فحكمة مشروعية القطع الجزاء على السرقة جزاء يقصد منه الردع وعدم العود، أي جزاء ليس بانتقام ولكنه استصلاح».[1]

فهذا بيان للقصد من القطع في الإسلام حتى ينزجر الأفراد، فلا يقدموا على السرقة فينصلح المجتمع.

بل ويوضح ابن عاشور هذه الحكمة بجلاء في كتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، وهو يتحدث عن المقصد من العقوبات فيقول: « فمقصد الشريعة من تشريع الحدود والقصاص... ثلاثة أمور: تأديب الجاني، وإرضاء المجني عليه، وزجر المقتدي بالجناة ».[2]

وذكر ابن عاشور مثال قطع يد السارق الذي ذكرته آنفا في تفسيره. وبين بأن القصد منه التأديب والزجر حفظا للصلاح الفردي والجماعي والعمراني، وهذه مقاصد قرآنية كبيرة. ويوضح مظهر هذا الصلاح فيقول: « التأديب: راجع إلى المقصد الأسمى، وهو إصلاح أفراد الأمة الذين منهم يتقوم مجموع الأمة... وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾. فبإقامة العقوبة على الجاني يزول من نفسه الخبث الذي بعثه على الجناية ».[3]

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 6 ص: 192- 193

[2] ابن عاشور- مقاصد الشريعة الإسلامية- ص: 232.

[3] المصدر نفسه- ص: 233.

وهذا تحقيقا لمقصد القرآن والشريعة من صلاح الفرد وتهذيب نفسه. ثم ينبه على مقصد الصلاح الجماعي من هذا التشريع فيقول: « وقد قصدت الشريعة من التشديد في الحدود انزجار الناس وإزالة خبث الجاني ».[1]

وعليه يمكن القول من خلال هذه الأمثلة التي تم عرضها. أن ابن عاشور اهتم بمقاصد القرآن على المستوى التطبيقي، سواء صرح بها في ثنايا تفسيره لسور القرآن وآياته أم لم يصرح بها. فالظاهر أن ابن عاشور رحمه الله قد وفى وأعمل ما أصله في المقدمة الرابعة التي كانت الأساس والمحور الذي يرجع ويحتكم إليه وهو خدمة مقاصد القرآن وبيانها أتم بيان. وبقي أن نذكر أثرها في تفسيره وهذا ما نبينه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

[1] ابن عاشور- مقاصد الشريعة الإسلامية- ص: 233.

المبحث الثاني: نماذج لتأثير مقاصد القرآن في تفسير "التحرير والتنوير":

كان لمقاصد القرآن التي بينها ابن عاشور الأثر الواضح في تفسيره؛ وقد ذكرت ما لمقاصد القرآن من أهمية في العمل التفسيري، حيث إنها تسهم في بيان المعاني وتوجيهها والترجيح بين الدلالات المختلفة. وفيما يلي نماذج من تفسير " التحرير والتنوير" تدل على ذلك.

المطلب الأول: تأثير مقاصد القرآن في بيان المعنى عند ابن عاشور:

جعل ابن عاشور دور المفسر هو بيان مقاصد القرآن التي نزل من أجلها كما سبق. وهذه المقاصد يُحتكم إليها في التفسير. إذ لها دور في بيان المعاني وتوضيح المراد من النص القرآني. وفيما يلي نموذجين يدلان على ذلك.

تكلم ابن عاشور في ثنايا تفسيره لسورة البقرة عن حكمة تحريم الدم. في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾[1] حيث قال: « وأما الدم فإنما نص الله على تحريمه لأن العرب كانت تأكل الدم، كانوا يأخذون المباعر فيملأونها دما ثم يشوونها بالنار ويأكلونها، وحكمة تحريم الدم أن شربه يورث ضراوة في الإنسان فتغلظ طباعه ويصير كالحيوان المفترس، وهذا مناف لمقصد الشريعة، لأنها جاءت لإتمام مكارم الأخلاق وإبعاد الإنسان عن التهور والهمجية ».[2]

[1] سورة البقرة- الآية: 173.

[2] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 2 ص: 118

فهذا توجيه بديع من ابن عاشور لحكمة تحريم الدم بناء على مقصد شرعي وقرآني هو تهذيب الأخلاق. حيث بين أن العرب كانت تأكل الدم. فجاء الإسلام بمقاصد كبرى تزكي الأنفس وتطهرها من سيء الأخلاق.

فراعى ابن عاشور هنا مقاصد الدين التي جاء بها فوضح بذلك المعنى من تحريم الدم وحكمة ذلك.

ومن الأمثلة الدقيقة التي تدل على تأثير مقاصد القرآن في بيان المعنى؛ ما ذكره ابن عاشور من توجيه لمعنى المتشابه في القرآن الكريم. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾[1] .

حيث عرف ابن عاشور المتشابهات بقوله: « والمتشابهات مقابل المحكمات، فهي التي دلت على معان تشابهت في أن يكون كل منها هو المراد. ومعنى تشابهها: أنها تشابهت في صحة القصد إليها، أي لم يكن بعضها أرجح من بعض. أو يكون معناها صادقا بصور كثيرة متناقضة أو غير مناسبة لأن تكون مرادا، فلا يتبين الغرض منها، فهذا وجه تفسير الآية فيما أرى ».[2]

وليُعرف معنى المتشابه عند ابن عاشور؛ لزم ضرورة ذكر آراء العلماء في معناه. فقد اختلفوا فيه.

وعرضها ابن عاشور نفسه. على النحو التالي:

يقول: « وقد اختلف علماء الإسلام في تعيين المقصود من المحكمات والمتشابهات على أقوال: مرجعها إلى تعيين مقدار الوضوح والخفاء، فعن ابن عباس: أن المحكم ما لا تختلف فيه الشرائع كتوحيد الله تعالى، وتحريم

[1] سورة آل عمران- الآية: 07.

[2] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 3 ص: 155.

الفواحش... وأن المتشابه المجملات التي لم تبين كحروف أوائل السور. وعن ابن مسعود، وابن عباس أيضا: أن المحكم ما لم ينسخ والمتشابه المنسوخ ...وعن الأصم: المحكم ما اتضح دليله، والمتشابه ما يحتاج إلى التدبر... وللجمهور مذهبان: أولهما أن المحكم ما اتضحت دلالته، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه... وثانيهما أن المحكم الواضح الدلالة، والمتشابه الخفيها...»[1]

ثم ختم ابن عاشور بقول الشاطبي عن المتشابه في الموافقات: قال: « فالتشابه: حقيقي، وإضافي، فالحقيقي: ما لا سبيل إلى فهم معناه، وهو المراد من الآية، والإضافي: ما اشتبه معناه، لاحتياجه إلى مراعاة دليل آخر. فإذا تقصى المجتهد أدلة الشريعة وجد فيها ما يبين معناه، والتشابه بالمعنى الحقيقي قليل جدا في الشريعة وبالمعنى الإضافي كثير ».[2]

فالذي يُفهم من كل هذا؛ أن ابن عاشور من خلال تعريفه ومن خلال ما ذكره من آراء للعلماء في معنى المتشابه لم يقصد ما ذهب إليه الجمهور- على المذهب الأول- من أن معنى المتشابه هو ما استأثر الله بعلمه. وإنما الذي يظهر أنه مال إلى قول الشاطبي عن التشابه الإضافي وهو ما اشتبه معناه لكثرة وروده في القرآن مقارنة مع التشابه الحقيقي الذي لاسبيل إلى فهم معناه من جهة، ولأنه يمكن التوصل إلى معرفته بطريق الاجتهاد من جهة أخرى. وهذا الأخير بالضبط، يظهر أنه هو الذي تبناه ابن عاشور.والدليل مقصدين قرآنيين أوردهما في هذا المقام تحديدا.

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 3 ص: 155- 156. وينظر: السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج 2 ص: 209. وينظر: الزرقاني عبد العظيم – مناهل العرفان في علوم القرآن – ت: فواز أحمد زمرلي- دار الكتاب العربي- بيروت- ط1/ 1415هـ- 1995م ج 2 ص: 215.

[2] الشاطبي- الموافقات- ج 3 ص: 64- 65.

يقول ابن عاشور: « على أن من مقاصد القرآن أمرين آخرين: **أحدهما:** كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين، حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين، و**ثانيهما:** تعويد حملة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب، والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة- في كل زمان- لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية... فإذا علمت هذا، علمت أصل السبب في وجود ما يسمى بالمتشابه في القرآن ».[1]

فابن عاشور من خلال هذا المثال؛ أعمل مقاصد القرآن التي جاء بها كونه فتح أبواب عباراته للاجتهاد ودعا إلى البحث والتنقيب لفهم مراد الله. ومن جهة أخرى أثرت هذه المقاصد في بيان معنى المتشابه عنده.

فعلى ضوء هذا تبرز الأهمية البالغة لمقاصد القرآن من حيث إسهامها في توجيه المعاني وبيانها. وابن عاشور راعاها في تفسيره فأعطته هذا التميز بل والإضافة الجديدة للمعاني في تفسير كلام الله تعالى.

[1] ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 3 ص: 158.

المطلب الثاني: تأثير مقاصد القرآن في الترجيح عند ابن عاشور:

كما أثرت مقاصد القرآن في بيان المعنى وتوجيهه عند ابن عاشور، أثرت في الترجيح بين المعاني والدلالات المختلفة لآيات القرآن. وفي هذا المطلب بيان لذلك.

من الأمثلة الواضحة التي رجح فيها ابن عاشور معنى على معنى بناء على مقصد قرآني، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[1] حيث رجح ابن عاشور مقصد صلاح العقيدة على مقصد صلاح الجماعة في هذه الآية. وتفصيل هذا كالتالي:

لما عزم سيدنا موسى عليه السلام على الصعود إلى الجبل لمناجاة ربه جل جلاله أمر أخاه هارون أن يخلفه في قومه وأن يصلح ولا يتبع سبيل المفسدين.[2] كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةًۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[3] .

يحلل ابن عاشور سبب وصية موسى عليه السلام هذه فيقول:

[1] سورة طه- الآية: 92- 94.

[2] ينظر: ابن عاشور- التحرير والتنوير- ج 9 ص: 87.

[3] سورة الأعراف- الآية: 142.

« وقد أجرى الله على لسان رسوله موسى، أو أعلمه، ما يقتضي أن في رعية هارون مفسدين، وأنه يوشك إن سلكوا سبيل الفساد أن يسايرهم عليه لما يعلم في نفس هارون من اللين في سياسته، والاحتياط من حدوث العصيان في قومه...» [1]

فغضب سيدنا موسى عليه السلام من أخيه هارون لعدم اتباع ما أوصاه به ، لما رجع إلى قومه بني إسرائيل فوجد انحرافا عقديا قد اقترفوه وهو عبادتهم العجل، ولعدم اللحاق به لما رآهم قد ضلوا.[2]

ثم يحلل ابن عاشور تصرف سيدنا هارون عليه السلام. فيقول: «واعتذر هارون عن بقائه بين القوم بقوله إني خشيت أن تقول فرقت، أي أن تظن ذلك بي فتقوله لوما وتحميلا لتبعة الفرقة التي ظن أنها واقعة لا محالة إذا أظهر هارون غضبه عليهم لأنه يستتبعه طائفة من الثابتين على الإيمان ويخالفهم الجمهور فيقع انشقاق بين القوم وربما اقتتلوا فرأى من المصلحة أن يظهر الرضى عن فعلهم ليهدأ الجمهور ويصير المؤمنون اقتداء بهارون، ورأى في سلوك هذه السياسة تحقيقا لقول موسى له ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. وهو الذي أشار إليه هنا بقوله﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ ، فهو من جملة حكاية قول موسى الذي قدره هارون في ظنه » .[3]

فسيدنا هارون عليه السلام غلب مصلحة وحدة الجماعة وعدم تفرقها على مصلحة العقيدة وهو ما قدره في ظنه لما أمره سيدنا موسى عليه السلام بالإصلاح وعدم الإفساد فكان هذا اجتهادا منه. يقول ابن عاشور في هذا المقام: « وهذا اجتهاد منه في سياسة الأمة إذ تعارضت عنده مصلحتان مصلحة حفظ العقيدة

[1] ابن عاشور – التحرير والتنوير- ج 9 ص: 88.
[2] ينظر: المصدر نفسه- ج 16 ص: 291- 292.
[3] المصدر نفسه- ج 16 ص: 293.

ومصلحة حفظ الجامعة من الهرج. وفي أثنائها حفظ الأنفس والأموال والأخوة بين الأمة فرجح الثانية، وإنما رجحها لأنه رآها أدوم فإن مصلحة حفظ العقيدة يستدرك فواتها الوقتي برجوع موسى وإبطاله عبادة العجل حيث غيوا عكوفهم على العجل برجوع موسى، بخلاف مصلحة حفظ الأنفس والأموال واجتماع الكلمة إذا انثلمت عسر تداركها ».[1]

بعد هذا التحليل من ابن عاشور لموقف سيدنا هاورن عليه السلام ، يبين عدم رجحان ما تصرف به هارون عليه السلام بناء على مقصد قرآني وهو إصلاح العقيدة وحفظها. يقول: «وكان اجتهاده ذلك مرجوحا لأن حفظ الأصل الأصيل للشريعة أهم من حفظ الأصول المتفرعة عليه، لأن مصلحة صلاح الاعتقاد هي أم المصالح التي بها صلاح الاجتماع... فإن حرمة الشريعة بحفظ أصولها وعدم التساهل فيها، وبحرمة الشريعة يبقى نفوذها في الأمة والعمل بها... ».[2]

على ضوء هذا المثال؛ يتضح لنا توظيف ابن عاشور لمقصد قرآني هو إصلاح الاعتقاد، حيث أثر في ترجيح مقصد على مقصد. بناء على أن القرآن جاء بأصل الأصول والمحور الأول الذي دعت إليه كل الشرائع فضلا عن القرآن وهو حفظ العقيدة. فلا يتقدم عليه مقصد آخر انطلاقا من أن حفظ الأصول في الشريعة سبيل لبقاء حرمتها، ولو كان في ذلك ضياع لمقاصد متفرعة عليها كصلاح الجماعة. وهو الجانب الذي راعاه سيدنا موسى عليه السلام. وبهذا يتجلى-من خلال هذا المثال- تأثير مقاصد القرآن في ترجيح المعاني عند ابن عاشور في تفسيره.

[1] ابن عاشور – التحرير والتنوير- ج 16 ص: 293.
[2] المصدر نفسه- ج 16 ص: 293- 294.

ومن أمثلة تأثير مقاصد القرآن في الترجيح ما ذكره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1]

تكلم ابن عاشور عن معنى التدبر في هذه الآية.فقال: « فمعنى يتدبرون القرآن يتأملون دلالته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيله. وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق».[2]

بين ابن عاشور أن للتدبر معنيان هما: التدبر في آيات القرآن التفصيلية التي نزلت حسب الوقائع وهذا المعنى الأول.

أما المعنى الثاني هو التدبر في جملة القرآن ككل وإدراك بلاغته بدون النظر إلى التفصيل.

بعد هذا رجح ابن عاشور المعنى الأول للتدبر. حيث قال: « وسياق هذه الآيات يرجح حمل التدبر هنا على المعنى الأول، أي لو تأملوا وتدبروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، ولما بقوا على فتنتهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام. وكلا المعنيين صالح بحالهم، إلا أن المعنى الأول أشد ارتباطا بما حكي عنهم من أحوالهم».[3]

[1] سورة النساء- الآية: 82.

[2] ابن عاشور- التحرير والتنوير-ج 5 ص: 137.

[3] المصدر نفسه- ج 5 ص: 137- 138.

فهذا ترجيح من ابن عاشور للمعنى الأول للتدبر استنادا على أن: الآيات التفصيلية التي سبقت آية التدبر تبين خلو أفعالهم مرهم بسبب أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن في ذكر أحوالهم إذ لو تأملوها لحصل لهم إيمان وهدي وصلاح كما للمسلمين. وهذا المعنى أشار إليه الشاطبي في الموافقات معلقا على هذه الآية حيث قال: «فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن فلم يحصل منهم تدبر».[1]

بناء على كل ماسبق تبرز أهمية ودور مقاصد القرآن الكريم في بيان المعاني والترجيح بينها. وقد بدت في تفسير ابن عاشور.وهذا يدل على تفعيله مقاصد القرآن الكريم في تفسير الآيات وتوجيه معانيها لإعطاء الفهم السليم لها.

[1] الشاطبي- الموافقات- ج 3 ص: 266.

خاتمة

بعد هذه الرحلة العلمية في موضوع مقاصد القرآن الكريم عند الطاهر ابن عاشور في تفسيره، توصلت إلى جملة من النتائج تتلخص فيما يلي:

1. مقاصد القرآن الكريم هي تلك الغايات الكبرى والمحاور التي نزل القرآن لأجل تحقيقها.
2. اهتمام العلماء المتقدمين والمتأخرين بموضوع مقاصد القرآن الكريم في كتاباتهم. سواء كان ذلك في الجانب الأصولي أو الجانب التفسيري. وهذا الأخير بدا واضحا من خلال استدعاء هذه المقاصد في التفسير. مما يدل على ضرورة العلم بها.
3. التوجه المقاصدي واضح في تفسير التحرير والتنوير مما أسهم ذلك في إعطاء النظرة الدقيقة للنص القرآني بغية تجلية حكمه وإظهار مراد الشارع من ورائه.
4. التنظير المحكم لمقاصد القرآن الكريم عند الشيخ ابن عاشور-رحمه الله- من خلال إفراده المقدمة الرابعة للحديث عنها، وهذا ما يبرز دور المفسر ووظيفته في خدمة كتاب الله تعالى من ناحية، والقيمة العلمية التي تتميز بها مقاصد القرآن في تفسيره من ناحية أخرى.
5. رغم أن البحث اقتصر على إيراد نماذج. إلا أن هذا يبين أن مقاصد القرآن الكريم ظهرت في تفسير ابن عاشور على مستويين: **الأول**: إعمالها من حيث النص عليها صراحة في تفسيره للقرآن، ومن حيث عدم التصريح بها. و**الثاني**: تأثيرها في تفسير" التحرير والتنوير" من حيث بيان المعاني وتوجيهها. ومن حيث الترجيح بينها.

أما كآفاق مستقبلية لهذا البحث فيمكن القول: أن مقاصد القرآن لزال مجال البحث فيها خصبا ورحبا ويمكن اقتراح مواضيع فيها نحو: إفراد كل مقصد ذكره ابن عاشور كبحث مستقل مثل:

- مقصد إصلاح الاعتقاد في تفسير التحرير والتنوير بين التنظير والتطبيق.

- مقصد تهذيب الأخلاق في تفسير ابن عاشور.

والحمد لله على التمام، والشكر له على الفضل والإنعام. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد خير الأنام. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	الفاتحة: 2– 3	34
﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾	الفاتحة: 4– 5	34
﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	الفاتحة: 6– 7	34
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾	البقرة: 11	44
﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾	البقرة: 23	78
﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾	البقرة: 30	56
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.	البقرة 159–160	52
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾.	البقرة: 173	85
﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	البقرة: 183	62
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾	البقرة: 185	63
﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾	البقرة: 205	62
﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ	البقرة 212.	61

﴿ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾		
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾	آل عمران: 07	61- 86
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾	آل عمران: 19	69
﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا﴾	آل عمران 103.	50
﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ .	آل عمران: 164	40
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾	النساء: 29	62
﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا .	النساء: 36	71
﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ	النساء: 43	74

بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡ﴾.		
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾	النساء: 82	42
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾	النساء: 105	48
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾	المائدة: 03	49
﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾	المائدة: 38	82
﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.	المائدة: 48	49
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾	الأنعام: 90	51
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾	الأنعام: 159	50
﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾	الأعراف: 59	76
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾	الأعراف: 142	75
﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ	الأعراف: 142	89

﴿رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾		
﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾	الأعراف: 199	72
﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾	الأنفال: 46	50
﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾	يونس: 38	54
﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾	يوسف: 03	51
﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ﴾	إبراهيم: 45	51
﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾	النحل: 08	79
﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾	النحل: 21	64
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾	النحل: 89	44
﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾.	النحل: 89	49
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ...﴾	الإسراء: 23– 35	74
﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾	الإسراء: 32	81
﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا	الكهف: 09	76

﴿عَجَبًا﴾		
﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾	طه: 92– 94	89
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾	الأنبياء: 25	46
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.	الحج: 78	63
﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾	الشعراء: 195	63
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.	الشورى: 38	50
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾.	محمد: 24	42
﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾	ق: 06	53
﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾	الطلاق: 01	78
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾	الطلاق: 02	78
﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾	الطلاق: 02	77
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾	القلم: 04	70 -47

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾	الزلزلة: 7– 8	32

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولا: قائمة الكتب المطبوعة:

1. ابن الخوجة محمد الحبيب - شيخ الإسلام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر- 1425هـ- 2004م
2. ابن عاشور محمد الطاهر - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام- دار سحنون- تونس و دار السلام- القاهرة- (نشر مشترك)- ط 2/ 1427هـ- 2006م
3. ابن عاشور محمد الطاهر - التحرير والتنوير- الدار التونسية للنشر- تونس1984م
4. ابن عاشور محمد الطاهر - حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات التنقيح- مطبعة النهضة- تونس- ط1/ 1341هـ-
5. ابن عاشور محمد الطاهر - مقاصد الشريعة الإسلامية- دار سحنون- تونس، ودار السلام- القاهرة- مصر (نشر مشترك)- ط5/ 1433هـ- 2012.
6. ابن عاشور محمد الطاهر ، أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي: دراسة تاريخية وآراء إصلاحية- دار السلام- القاهرة، ودار سحنون- تونس (نشر مشترك)- ط1431/3هـ-2010م
7. ابن فارس أحمد بن زكريا- معجم مقاييس اللغة- ت: عبد السلام هارون- دار الفكر- (د.ط)-
8. ابن منظور محمد ابن مكرم- لسان العرب- دار صادر- بيروت- لبنان- (د.ط / د.ت)
9. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- دار الغرب الإسلامي- ط1/ 1997م
10. الأخضر الأخضري- الإمام في مقاصد رب الأنام، مقاصد الشريعة الإسلامية- دار المختار

11. إسماعيل الحسني- نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فرجينيا- ط1/ 1416هـ- 1995م.

12. بلقاسم الغالي، من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره- دار ابن حزم - بيروت- ط1/1417هـ- 1996م

13. الرازي فخر الدين محمد - المحصول- ت: طه جابر فياض العلواني- مؤسسة الرسالة- ط3/ 1418هـ- 1997م.

14. الرازي فخر الدين محمد - التفسير الكبير- دار الفكر- لبنان- بيروت- ط1 /1401- 1981

15. الرازي محمد بن أبي بكر- مختار الصحاح- اعتنى به وراجعه: أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، المنصورة- ط 1/1430هـ- 2009 م-

16. رشيد رضا محمد- الوحي المحمدي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1/ 1426هـ- 2005م

17. رشيد رضا محمد- تفسير المنار- دار المنار- القاهرة- ط2/1366هـ- 1947

18. الريسوني أحمد، مقاصد المقاصد: الغايات العلمية و العملية لمقاصد الشريعة- دار الكلمة-مصر – القاهرة-ط1/1435-2014م

19. الزرقاني عبد العظيم- مناهل العرفان في علوم القرآن – ت: فواز أحمد زمرلي- دار الكتاب العربي- بيروت- ط1/ 1415هـ- 1995م

20. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن- الإتقان في علوم القرآن- خرج أحاديثه: أحمد بن شعبان بن أحمد-مكتبة الصفا- القاهرة- ط 1/ 1427هـ- 2006م.

21. الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة. ت: عبد الله دراز- دار الحديث- سنة الطبع: 1427هـ- 2006م

22. صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين- دار القلم- دمشق- ط4/ 1431هـ- 2010م- ص 474.

23. عبد الحميد محمد بن باديس- آثار ابن باديس-ت: عمار طالبي- دار ومكتبة الشركة الجزائرية- ط1/ 1388هـ- 1968م

24. عبد الكريم حامدي، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام- دار ابن حزم- بيروت- لبنان- ط1/ 1429هـ- 2008م.

25. عبد النبي محمد عباس- موجز تفسير آيات الصبر عند الطاهر ابن عاشور- دار المكتبة العصرية- القاهرة- مصر- ط1/ 2013م

26. عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام- قواعد الأحكام في إصلاح الأنام- ت:د.نزيه كمال حماد و د.عثمان جمعة ضميرية- دار القلم- دمشق- د.ط.

27. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد - المستصفى-ت: محمد عبد السلام عبد الشافي- دار الكتب العلمية- ط1/ 1413هـ- 1993م

28. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد- إحياء علوم الدين- دار المعرفة – بيروت- (د.ط/ د.ت).

29. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد- جواهر القرآن- ت: محمد رشيد رضا القباني- دار إحياء العلوم- بيروت – ط2 / 1406-1986

30. فضل حسن عباس- إتقان البرهان في علوم القرآن- دار الفرقان- الأردن- ط1/ 1997م.

31. الفيروزآبادي مجد الدين – القاموس المحيط- ت: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان- ط8/ 1426هـ- 2005م.

32. قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر"مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني"- منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية- ط1/ 1431هـ- 2010م

33. مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر- الموطأ- اعتنى به: محمود بن الجميل- دار الإمام مالك- الجزائر- ط2/ 1433هـ- 2012م.

34. محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم- دار الشرق(د.ط و د.ت).

35. محمد الفاضل ابن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس .

36. محمد النذير أوسالم، الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره "التحرير والتنوير"- دار ابن حزم- بيروت- ط1/ 1430هـ- 2009

37. محمد بن إبراهيم الحمد- أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير- دار ابن خزيمة- السعودية- ط1 / 1428هـ- 2009م

38. محمد بن محمد مخلوف- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ت: عبد المجيد خيالي- ط1/1424هـ-2002م.

39. محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1/1404هـ- 1984م

40. مسلم بن الحجاج النيسابوري- صحيح مسلم- دار المغني- ط1/ 1419هـ- 1998م.

41. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي- دار القلم- دمشق- ط3/ 1421هـ- 2000م

42. نبيل أحمد صقر، منهج الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في التفسير "التحرير والتنوير"- الدار المصرية- ط1/ 1422هـ- 2001م-

43. يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم- دار الشروق- ط3/ 1421هـ- 2000م

ثانيا: الرسائل الجامعية:

44. أبو فراس مراد بن أحمد عطاسي- آليات الاستنباط عند الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره "التحرير والتنوير"- رسالة ماجيستير.

45. أمينة رابح- مقاصد السور القرآنية- دراسة نظرية تطبيقية- رسالة دكتوراه -إشراف: د. الأخضر الأخضري- جامعة وهران- كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- قسم العلوم الإسلامية- تخصص الكتاب والسنة. 2012/ 2013م.

46. أيمن بن غازي بن حسين صابر- الاستنباطات عند العلامة محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير-جمعا ودراسة- رسالة ماجيستير- إشراف: د. طه عابديه طه أحمد - جامعة أم القرى- كلية الدعوة وأصول الدين- قسم الكتاب والسنة- تخصص التفسير وعلوم القرآن.1435هـ- 2014م

47.شعيب بن محمد بن أحمد الغزالي، مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور- رسالة دكتوراه- إشراف: د. عبد الحافظ إبراهيم البقري -جامعة أم القرى- كلية اللغة العربية- قسم الدراسات العليا- 1434هـ- 1435هـ.

48. معد القرني، الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسير التحرير والتنوير- رسالة ماجيستير- إشراف: د. محمد ولد سيدي ولد حبيب- جامعة أم القرى- كلية الدعوة وأصول الدين- قسم الكتاب والسنة-1427هـ.

ثالثا: البحوث والمجلات:

1. البحوث:

49.زياد خليل محمد الدغامين، عميد كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت- مقاصد القرآن في فكر النورسي- دراسة تحليلية.

50.عبد الله الخطيب، مقاصد القرآن الكريم وأهميتها في تحديد الموضوع القرآني- دراسة نصية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن – بحث في: مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم عام 1431هـ -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة الشارقة. أخذ من موقع:

https://old.uqu.edu.sa/lib/ar/162205 بتاريخ: 2016/05/28.

51.عثمان بطيخ، مفتي تونس- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية- أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثاني والعشرون. أخذ من موقع:

http://www.kantakji.com/makased/ بتاريخ: 2016/05/28

52 .علي البشر الفكي التجاني- مقاصد القرآن الكريم وصلتها بالتدبر- بحث مقدم في : المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن الكريم-قطر1434هـ- أخذ من موقع:
13http://www.s-alshuraym.com/vb/showthread.php?t=27084 يوم: 2016/05/28.

53.بودوخة مسعود- جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم- المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه-فاس- في موضوع: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه. من موقع:
http://www.mobdii.com/ بتاريخ: 2016/05/28.

54.نشوان عبده خالد قائد- التميز المنهجي في عرض المقاصد القرآنية عند الطاهر ابن عاشور في تفسيره- كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية- قسم دراسات القرآن الكريم والسنة النبوية –، الجامعة الإسلامية العالمية- بماليزيا. حمل من موقع:
http://wefaqdev.net/researchers446.html بتاريخ: 2016/05/28

2. المجلات:

55.سامر عبد الرحمن رشواني- الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور- مجلة إسلامية المعرفة- المعهد العالمي للفكر الإسلامي-بيروت- العدد الثالث والعشرون- 1421هـ- 2000م

56.عبد المجيد النجار- دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية- مجلة إسلامية المعرفة- العدد الأول.

57. هيا ثامر مفتاح - مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ ابن عاشور- مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر- العدد 29 سنة 1432هـ- 2011م.

58.نشوان عبده خالد قائد- دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند ابن عاشور- مجلة جامعة المدينة العالمية- كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية- الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا- العدد الرابع- سبتمبر 2012.

الموضوع **الصفحة**

إهـــداء

شكـر وتـقـديـر

مقدمة.....أ

الفصل التمهيدي: التعريف بمصطلحات البحث 8– 28

المبحث الأول: تعريف مقاصد القرآن.....8

المطلب الأول: المقاصد لغة.....8

المطلب الثاني: مقاصد القرآن اصطلاحا.....9

المطلب الثالث: العلاقة بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة.....12

المبحث الثاني: ترجمة محمد الطاهر ابن عاشور.....13

المطلب الأول: عـصره.....13

المطلب الثاني: حياته العلمية.....15

المطلب الثالث: حياته العملية.....18

المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.....20

المطلب الخامس: آثاره العلمية ووفاته.....21

المبحث الثالث: التعريف بتفسير "التحرير والتنوير".....25

المطلب الأول: اسمه وبواعث ومدة تأليفه..... 25

المطلب الثاني: مقدمات التفسير..... 25

المطلب الثالث: منهجه العام في التفسير..... 26

الفصل الأول:الدراسة التأصيلية لمقاصد القرآن 29– 65

تمهيد..... 29

المبحث الأول: تقسيمات مقاصد القرآن عند العلماء وأهميتها.....30

المطلب الأول: تقسيمات مقاصد القرآن عند العلماء.....30

1. أنواع مقاصد القرآن عند الأصوليين.....30
   - مقاصد القرآن عند أبي حامد الغزالي.....30
   - مقاصد القرآن عند العز بن عبد السلام.....32
   - مقاصد القرآن عند الشاطبي.....33
2. أنواع مقاصد القرآن عند المفسرين.....33
   - مقاصد القرآن عند الفخر الرازي.....34
   - مقاصد القرآن عند محمد عبده.....35
   - مقاصد القرآن عند رشيد رضا.....36

المطلب الثاني: أهمية العلم بمقاصد القرآن.....39

المبحث الثاني: منهج بيان مقاصد القرآن عند ابن عاشور.....43

المطلب الأول: أنواع مقاصد القرآن عند ابن عاشور.....44

1. المقصد الأعلى.....45
2. المقاصد الأصلية.....46
3. ملاحظات على تقسيم ابن عاشور.....56

المطلب الثاني: آليات تحصيل مقاصد القرآن عند ابن عاشور.....59

1. الاستقراء.....59
2. ظواهر القرآن الكريم.....62
3. اللغة.....63

الفصل الثاني: توظيف مقاصد القرآن في تفسير" التحرير والتنوير" 66– 93

تمهيد.....66

المبحث الأول: مظاهر إعمال مقاصد القرآن في "التحرير والتنوير".....67

المطلب الأول: إعمال المقاصد المصرح بها عند ابن عاشور.....67

-أغراض السور.....68

-مقصد إصلاح الاعتقاد.....69

-مقصد تهذيب الأخلاق.....70

-مقصد التشريع.....73

-مقصد سياسة الأمة..... 75

-مقصد القصص..... 76

-مقصد المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير..... 77

-مقصد الإعجاز..... 78

المطلب الثاني: إعمال المقاصد غير المصرح بها عند ابن عاشور..... 79

-مقصد التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين..... 79

-نماذج..... 81- 84

المبحث الثاني: نماذج لتأثير مقاصد القرآن في تفسير"التحرير والتنوير..... 85

المطلب الأول: تأثير مقاصد القرآن في بيان المعنى عند ابن عاشور..... 85

-نموذجان..... 85- 88

المطلب الثاني: تأثير مقاصد القرآن في الترجيح عند ابن عاشور..... 89

-نموذجان..... 89- 93

خـاتـمـة..... 95

فهرس الآيات القرآنية..... 98

فهرس المصادر والمراجع..... 104

فهرس الموضوعات..... 112

ملخص المذكرة:

تناولت هذه المذكرة موضوع: مقاصد القرآن عند الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسيره. وقد هدفت هذه الدراسة إلى بيان مقاصد القرآن الكريم، وتقسيماتها عند العلماء وإبراز أهميتها. ثم تأصيلها عند ابن عاشور وتحليلها وذلك من خلال إيراد نماذج تطبيقية لتوظيفه لها في تفسيره.حيث أعملها ابن عاشور سواء صرح بها أو لم يصرح. وبدا تأثيرها في تفسيره من حيث بيان المعاني والترجيح بينها. وخلص البحث في الأخير إلى أهم النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: مقاصد القرآن- التحرير والتنوير- المحاور والغايات- ابن عاشور- الصلاح.

Résumé:

Cette note sur le thème: les fins du Coran à l'Imam Al-Taher Ben Achour dans son interprétation. Cette étude avait pour but de l'application de la déclaration Coran, et les divisions lorsque les scientifiques et souligner leur importance. Ensuite, établir quand Ben Achour et analysé par le biais de modèles de revenus appliqués pour l'emploi dans Tvsarh.hat ne Ben Achour a dit si oui ou non il déclare. Il semblait leur impact sur l'interprétation d'une déclaration en termes de significations et leur pondération. La recherche a révélé ce dernier aux résultats les plus importants obtenus il.

Mots-clés :objectifs du Coran - Attahrir w Tanwir- Thèmes et objectifs- Ibn Achour-bonté.

Abstract:

. This note on the theme: the purposes of the Koran at the Imam Al-Taher Ben Achour in his interpretation. This study was aimed to the purposes of the Qur'an statement, and divisions when scientists and highlight their importance. Then establish it when Ben Achour and analyzed through revenue models applied for employment in Tvsarh.hat do in Ben Achour said whether or not it declares. It seemed their impact on the interpretation of a statement in terms of meanings and weighting them. The research found the latter to the most important results obtained it.

key words :Purposes of the Qur'an- Attahrir w Tanwir- Themes and objectives- - Ibn Achour- Goodness.